

وزارة التعليم العالـــــي والبحث العلمـي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل : 13/MD12/066

توظيف التراث في أدب جبران خليل جبران
كتاب "النبي" –أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب عربي حديث

من اعداد الطالبة:
▪خديجة دحدوح

إشراف الأستاذة:
▪طالب سعاد

تاريخ المناقشة:

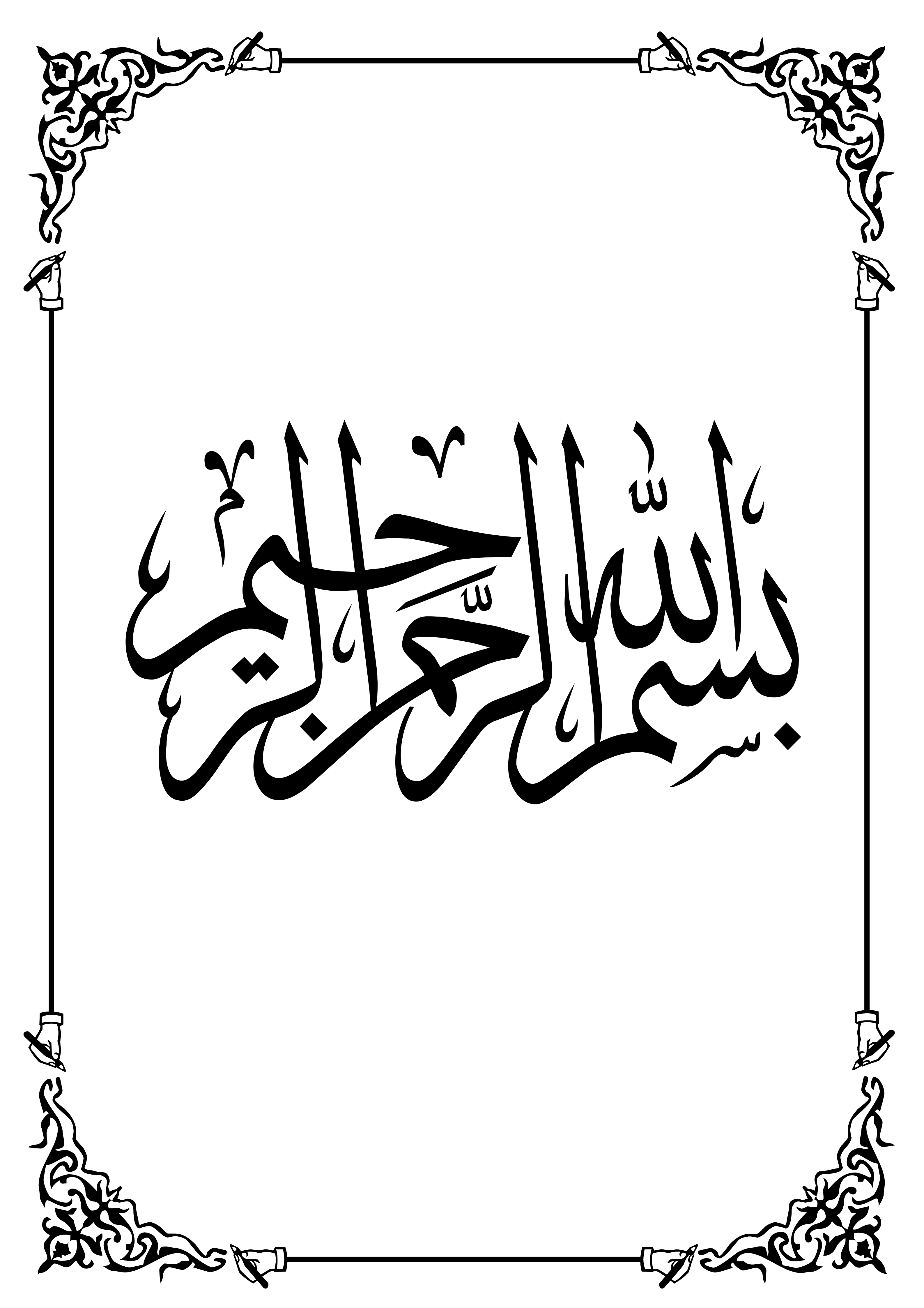
أمام لجنة المناقشة:

–

–

–

السنة الجامعية: 2014–2015


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أشكر الله الذي لا إله سواه الرحمان الرحيم جل في علاه، أسألك إلهي أن تكمل لي خطواتي فيما أتمنى أن أصل إليه بقدرتك رباه.

بأطيب العبارات وأعذبها أتقدم إلى:

أستاذتي الفاضلة طالب سعاد بجزيل الشكر والعرفان على ما أحاطتني به من اهتمام ورعاية طيلة مراحل البحث ودراسته.

كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام لقبول مناقشة هذه الرسالة وتحمل عبئ دراستها، وجزاهم الله عز وجل خير الجزاء وعظيم الثواب.

وإلى الدكتور عباس بن يحي عميد كلية الآداب واللغات الذي كان له الفضل في مساعدتي وتوجيهي.

إلى كل من أورثني حرفا، ورفع خطواتي في مساري الدراسي، وكان له الفضل في تحقيق نجاحي ووصولي إلى هذه الرتبة العلمية.

إلى كل من مد لي يد العون في انجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

كل هؤلاء أرفع لهم شكري وأزكى ثنائي وأجل معاني التقدير والعرفان.

جزاكم الله خيرا على ما قدمتموه لي وسدد خطاكم.

مقدمة

مقدمة

الحمد والشكر لله العلي الذي قال في محكم تنزيله:"اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴿4﴾"[1]

والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي جعل من العلم فريضة تحيا به النفوس، وتنور به العقول، وتزدهر به الأمم وتتطور، وتنمو به الحضارات وبعد:

التراث يمثل روح الأمة ومرآتها العاكسة راح الكثير من الأدباء يشتغلون على هذا التراث ويوظفونه في أعمالهم الأدبية، هذه الأخيرة محيينفيها القديم، وباعثين فيها روح التجديد، آخذين من هذا التراث ما يخدم واقعهم وزمنهم وأفكارهم المتشعبة وعقائدهم ورؤاهم، آخذين بمزاياه.

وهناك أديب عربي من بين هؤلاء المشتغلين بهذا الأمر، أخذ تفكير الناس وشغل عقول الدارسين عربا وأعاجم بإنتاجه المبدع وفكره الفياض واطلاعاته الكثيرة وثقافته الواسعة، "إنه جبران خليل جبران" صاحب النزعة القومية والإنسانية العالمية، وصاحب العناصر التراثية العميقة والمتنوعة في جل أعماله الأدبية.

وإن المتتبع لأعمال جبران ستتضح له حتما العناصر التراثية الزاخرة والمتنوعة بالرغم من طغيان واقعيته ومثاليته وتمرده فيها.

وإنه لمن الصعب علينا أن نحصر توظيف الكاتب للتراث في منحى هويته وعقيدته الديانة المسيحية فقط، ولا في القومية العربية فقط، ولا في احترامه للديانات الأخرى التي تمثل منبع الأخوة والحب، ولا في المعتقدات الفكرية والإيديولوجية والمذاهب التي ينتمي إليها، ولا حتى إلى الثقافة الأوربية التي تشبّع بأفكار أعلامها

[1] القرآن الكريم، سورة العلق الآية 3-4.

وروادها من أدباء وفلاسفة ومفكرين، والتي ساعدته في مواهبه وجعلته يكتسب ثقافة واسعة، والتي علمته حب الإنسانية بدافع من تجربته في الغربة، بل إن كل هذه الأسباب والزوايا تضافرت بعضها بعضا وشكلت عنده هذا المنحى، لأنه يعتبر من أهم الأعلام الحاملة لتراث الإنسانية.

ولا تعد هذه النظرة الفكرية أمرا اعتباطيا وإنما هي حتمية واقعية، لأنه في وقتنا الراهن من غير الممكن أن يدّعي أي شخص بأنه ابن حضارة واحدة، لأنه في عصرنا الحديث امتزجت وتداخلت الثقافات المختلفة في كل أصقاع العالم وصار هذا الإمتزاج أمرا ضروريا لا مفر منه.

كما أنه لا يمكننا تجاهل النمط الفني الجبراني النثري الشعري الذي لم يكن له وجود في الأدب العربي لولا احتكاك العرب بالحضارة الغربية،والإتصال بآدابها عن طريق قراءة المؤلفات بلغتها الأصلية، وترجمة آثارها الأدبية الأخرى.

ولا شك أنه لدى كاتبنا وأديبنا تشعب وتباين كبير للتراث في كتبه، وأعماله الشعرية والنثرية بسبب ما تبلغه الإنسانية وحبها عنده من أهمية كبرى، واحترام للأمم ولموروثاتها.

وعلى هذا الأساس جاءت حاجة اختيارنا لموضوع البحث واختيار أنموذج الكتاب المجسّد لهذه الدراسة الخاصة على مستوى النص الأدبي الجديد، وكذلك لتعمقه في ظاهرة فهم التواصل بين النص الجديد والمعرفة التراثية المنجذبة إلى معرفة الموروث القديم ثم انفلاتها عن نموذجها التقليدي وتفردها بطابع خاص.

ولأن كتاباتجبران تعد من أبرز النماذج التي تصب فيها هذه الظاهرة الأدبية سواء كانت نماذج لكتابات عربية أم إنكليزية معربة ككتاب "النبي".

وإضافة لهذين السببين هناك سبب ومسوغ آخر استدعى اختيار موضوع توظيف التراث في أدب جبران خليل جبران، وهو: اهتمام الدراسات الحديثة وتسليط أضوائها

عليه بالتركيز على قدراته الإبداعية والتي حققت استجابة كبيرة لدى القراء لأعماله، وكذلك بما أن ميدان تخصصي في الأدب الحديث ومعرفتي المسبقة لبعض أفكاره ارتأيت أن تصب دراستي في هذا الميدان وفي هذا النموذج لهذه الشخصية التي كان لها الدور الأكبر والبارز في الحداثة الأدبية العربية.

ومن هنا كانت الدراسة المبحوث فيها هي توظيف التراث في كتاب النبي لجبران، منطلقة في هذا البحث من خلال التساؤل التالي:

ما هي أنواع التراث التي استحضرها ووظفها جبران خليل جبران في كتابه "النبي"؟ وكيف وظفها؟ وهل كان لها دور في إضفاء الجمالية على الكتاب؟

وحتى يتسنى لي تحقيق غاية البحث والإجابة عن الإشكالية المطروحة أعانتني مجموعة من المراجع والمصادر والدراسات العربية والأبحاث، نذكر منها: "أدب المهجر" لصاحبه الدكتور صابر عبد الدايم، بالإضافة إلى"سعيد شوقي محمد سليمان" الذي ركز عن التعالق بين الموروث والعمل الأدبي بأنواعه المختلفة والموسوم بـــ: "توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ"، كما استفادت الدراسة أيضا من كتاب "التراث والحداثة" (دراسة ومناقشات) للدكتور عابد الجابري، وكذلك كتاب "أدب المهجر" للدكتور عيسى الناعوري.

والدراسة التي أقدمها بين يدي الأساتذة والباحثين تحاول الإنفراد بزاوية خاصة تميز بها كتاب "النبي" لجبران في استحضار التراث في أنواع ثلاثة مهمة.

وحسب ما تقتضيه حاجة البحث لهذا الموضوع توزعت الدراسة على فصلين سبقهما مدخل يتضمن المرجعيات الفكرية والفلسفية لجبران.

يليه الفصل الأول الذي يشكل فصلا نظريا وسم بـــ "مفاهيم نظرية حول التراث" ويضم مجموعة من العناصر تخص الجانب المعرفي لعنوان البحث وهذه العناصر هي كالآتي:

1- ماهية التراث في اللغة والإصطلاح، ومفهومه في الفكر العربي المعاصر، وفي الفكر الغربي.

2- أنواع التراث، وضم التراث الديني، والصوفي، والتاريخي، والشعبي، والأدبي والأسطوري.

3- بواعث ودوافع توظيف التراث.

4- الموقف من التراث.

5- التراث والجديد والمعاصرة.

6- وأخيرا أهمية التراث.

أما الفصل الثاني فقد كان تطبيقيا حيث حاولت من خلاله إبراز الأنواع التراثية التي استحضرها جبران في كتابه النبي والذي وسم بعنوان "أنواع التراث الموظف في كتاب النبي لجبران خليل جبران"، وقد انطوى على ثلاثة أنواع من التراث وهي:

1- التراث الديني: وفيه استحضار للدين المسيحي والإسلامي والديانة الزرداشتية الشرقية، من خلال توظيف الفكر الديني لهذه الديانات واستعمال البعض من أقوالها في بعض الأحيان.

2- التراث الصوفي: والذي اشتمل على التصوف المسيحي والإسلامي والفلسفي.

3- التراث الأدبي: يتبين فيه تأثر الكاتب بالأعمال الأدبية الغربية الشعرية خاصة على غرار النثرية، سواء في الأسلوب أم في طريقة عرض المضمون الفكري. ويكمن وجه التأثر هذا في تأثره بالأديبين والشاعرين ويليام شيكسبير وولت ويتمان.

وقد اقتضت من هذه الخطة اتباع المنهج الوصفي التحليلي، ومما لا يمكن تجاوز ذكره أيضا هو تلك الصعوبات التي تواجه أي باحث علمي في مشوار بحثه، والتي تمثلت أولا في ضيف الوقت لما في الكتاب من أفكار عميقة تحمل رؤية صاحبها

البعيدة ذات المرامي المتعددة فإنه لم يتسن لنا الغوص أكثر وبتعمق في الكتاب، وكذلك عدم دراسة هذا الأنموذج من قبل بهذه الطريقة التي تناولناه بها على حسب علمي ، والسبب الثالث وهو عدم توفر المراجع والمصادر الكافية التي تخدم الموضوع، وعدم وجودها في المكتبات بكتب ورقية لأن معظمها إلكترونية غير موجودة.

ولا يفوتني في هذا المقام بأن أبوح أو أقول بأن هذا العمل إنما هو ثمرة جهد يسير من طالبة متواضعة، وما هو إلا اجتهاد بسيط أكون قد أصبت في بعضه وأخطأت في بعضه الآخر، وما هو إلا دراسة بسيطة من بين الدراسات العميقة واللامتناهية في عالم الفكر.

ويسعدني في ختام هذه المقدمة أن أتوجه بجزيل الشكر، وأتقدم بالعرفان الجميل إلى

أستاذتي المشرفة "طالب سعاد"، وبخالص ثنائي لفضل كرمها عليّ في بحثي.

وأرجو أن أكون قد أفدت ولو بالمعرفة البسيطة في هذا الموضوع، وأن يكون مرجعا يسيرا يفيد ولو بالنزر القليل لكل من يريد أن يطلع على هذا الموضوع ويستفيد منه.

وما كان من توفيق في هذا البحث فهو من الله، وما كان فيه من نقص وغموض أو خطأ فهو مني، ونسأل الله في الختام القبول والرضى.

مدخل:
المرجعيات الفكرية والفلسفية لجبران خليل جبران

جبران خليل جبران عميد الرابطة القلمية " آمن بالحرف والإبداع فمضى يكتب ويؤلف ويبلغ مواقفه وآراءه وتأملاته،وتطلعاته، ويصدق في رسالته كفنان كاتب ورسام، ومفكر تعمر رؤيته وحدانية عميقة متألقة وذكاء لامعا، وعاطفة كبيرة متطلعة، وخيالا متحركا جواب وأفاق يتأبىعلى المقاييس...وسطع نجمه في الأدب العربي، وكذلك في الأدب ين الأمريكي والإنجليزي وتسمو مكانته ويبرز تقدمه في أكثر منانطلاق وتيار في الأدب العربي، مثل التوجه الرومنتيكي والواقعي، والاجتماعي، والالتزام الوطني والقومي والإنساني، والتطليع الصوفي، والتعبير الرمزي، والخلق الفني، والنسيج الملحمي[1].

لاح جبران فكان فجرا بهيا لنهار جميل ...وكانت النفحة الجبرانية قد لفحت الجباه، وأضرمت النفوس،وبهرت العيون، ريشته المصورة كريشته المعبرة ...تحلقان في سماء بعيدة من الخيال مجتمعتين، كما اجتمعتا للشاعر والفنان الإنجليزي " وليام بليك" [2].

برز أثر جبران فيإنتاج عدد غير قليل من بين الأدب اء العرب في المهجر مثل فوز المعلوف، وشفيق المعلوف، وفي البلاد العربية مثل أبي القاسم الشابي، والبشير التيجاني...،بلإن أثره يبرز في نتاج جيل كامل من الكتاب والشعراء العرب في المشرق والمغرب، وهو يستمر في عطائه الأدب ي والفكري في أكثر من مجال واتجاه، ويثبت في وطينته، وقوميته العربية وإنسانيته، وعالميته ويأصل في عبقريته، وحسبه أنه رأى في نفسه وبثقة وجلاء رؤية المستنهض الوطني والقومي، والداعية الإنساني...وقصد ولأول مره في الأدب العربي الرسولية الإنسانية، هذا إن لم يكن المتنبي تصور لنفسه هذه الرسولية وقد استطاع جبران أن يكون واحدا من أبرز رواد النهضة العربية الحديثة وقادتها، وإذا هو يصارع الفساد والجهود والحروب والتخلف في أكثر من مجال أو على غير صعيد.وهو يستمر هاجسا مخيفا لإقطاعيي السياسة

---

[1]- كاظم حطيط، أعلام ورواد فيالأدب العربي، ج2، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة – مصر، 2003، ص 414.

[2]- نسيب نشاوي، مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 181.

والدين في لبنان وسائر الوطن العربي، وصوت حرية مدوّ في كل مكان من العالم وهو يؤكد بذلك على أن الأديب هو ضمير أمته وأحد مشاعل الإنسانية...[1]

وجبران خليل جبران ويعد واحدا من أهم الشخصيات الأدبية العربية المبدعة فيالأدب المهجري الذي نشأ في أواخر القرن التاسع عشر.

وينقسم أدباء "الأدب المهجري إلى فئتين" فئة المهجر الشمالي؛أي الولايات المتحدة الأمريكية، وفئة المهجر الجنوبية وعلى الأخص البرازيل، ولكل منهما خصائص ومميزات- منها الأصيل ومنها المكتسب- قد تتفق أحيانا مع خصائص الأخرى ومميزاتها، وقد تختلف أحيانا أخرى، وقد ظهرت الفئتان في وقت واحد، أو في فترة متقاربة جدا...وأسهمت كل منهما في تكوين المدرسة المهجرية الأدبية، وتركت كل منهما أثرها فيها.[2]

غير أنه لا بد لنا من القولأنّفئة المهجر الشمالي، على قلة عددها، كانت أبعد أثرا من فئة الجنوب...كانوا أبرز أثرا، وأوسع آفاقا، وأعمق إحساسا بإنسانية الأدب والشعر، وصلتهما بالحياة الإنسانية، وبالإنسان، لقد كانوا في أدبهم متحررين من كل تأثير قديم في الفهم وفي الإنتاج، فظهر أثر هذا التحرر في أدبهم، مما طبعه بطابع متميز في حريته وسعته أمّا الجنوبيون فقد ظل أغلبهم يجري على سنن المحافظين في الشرق، ويرى رأيهم في وجوب المحافظة على الديباجة العربية البليغة، وعلى الجزالة اللفظية، وقواعد اللغة والعروض والبلاغة، ولكن بينهم من تحرروا من ذلك فتميزإنتاجهم بالجمال والقوة، لأنهمانطلقوا فيه على سجاياهم إلى حد بعيد، وأغلبإنتاج هؤلاء شعري وأما النثر فيما اشتهر من أدب الجنوب في أقطار الشرق العربي فحظه ضئيل جدا بالنسبة إلى الشعر، اللهم إلاّ في صحف الأدب وهي كثيرة .[3]

وتتمثل فئة المهجر الشمالي في "الرابطة القلمية" التي تأسست عام 1920 حين التقت آراء جماعة من أدباء المهجر في أمريكا الشمالية حول فكرة واحدة هي

1- كاظم حطيط، أعلام ورواد فيالأدب العربي، ص 419، 420.

2- عيسى الناعور، أدب المهجر، ط3، دار المعارف، مصر، 1977، ص 17.

3- المرجع نفسه، ص 17 – 18.

ضرورةإنشاء رابطة توحد جهودهم وتكتل قواهم...واتضح اتجاههم الأدبي الذي يبحث فيما وراء الأشياء ولا يكتفي بالقشور في الشعار الذي قام بتصميمه جبران خليل جبران ووضع معه هذه العبارة "لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء" وأعلنوا رأيهم في الأدب حينما قالوا : "الأدب هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحس ودقة التفكير وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان عمّا تحدثه الحياة في نفسه من التأثير.[1]

وقد تأسست الرابطة برئاسة جبران "عميدا"، ويعاونه في إدارتها ميخائيل نعيمة "مستشارا"، **ووليم كاتسفليس**"خازنا"،ويعمل تحت لوائها سبعة آخرون يحملون اسم "العمال" هم :إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة، وعبد المسيح حداد، ورشيد أيوب،وندرة حداد،ووديع باحوط، وإلياس عطا الله وكان أعضاء الرابطة "عصبة صغيرة-كما يقول نعيمة-تفاوتت قواها، ولكن توحدت نزاعاتها ومراميها، ولم يكونوا متكافئين في المواهب والإنتاج، ولكنهم كانوا متقاربين في الميول الأدبية، والذوق الفني.[2]

وكان أكثر عمال الرابطة نشاطا في الإنتاج الأدبي، وغزارة في المادة وأبعدهم أثرا في حياتها، وفي الأدبالمهجري فكانوا خمسة بنوع خاص، هم: **جبران، ونعيمة، وأبو ماضي، ويليهم نسيب عريضة، ورشيد أيوب**، فهؤلاء كان يتميزإنتاجهم بالخلق والإبداع، من جهة، وبروعة التجديد من جهة أخرى، وسرعان ما انتشر أــدبهم في الدنيا العربية كلها، لما تحمله من بذور الحياة الجديدة.[3]

وبما أنّ هذه الرابطة تنتمي إلى أدب المهجر عامة فإن أعضاءها المبدعين كانوا يتميزون بمميزات وخصائص وعناصر هذاالأدب فيأدبهم، وينهلون من منهله، ويتأثرون بمؤثراته.

وبالنسبة للمؤثرات التي تأثر بها هؤلاء الأدباء والمنابع التي استقوا منها أفكارهم فتتمثل في:

---

[1]- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ط1، دار المعارف، القاهرة -مصر، 1993، ص 18.

[2]- عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 22 – 23.

[3]- المرجع نفسه، ص 24.

1- مؤثراتأدبية:

فهم تأثروا باتجاهات كثيرة وخاصة بالأدب الأوروبي والحركة الرومانسية والإتجاه الرمزي في أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والثامن عشر.

2- مؤثرات فلسفية:

حيث قرأوا فلسفات الشرق مثل فلسفة الهند وفارس واطلعوا على الفلسفة الإسلامية وتأثروا بها وبروادها وكذلك الفلسفة اليونانية، وإن كانت هذه مؤثرات عامة إلّا أنّبصماتها التي ظهرت في أدبهم تكسبها شيئا من الخصوصية في التأثير في نتاجهم ومعتقدهم.

3- مؤثرات دينية :

حيث تفتحت عيونهم على حضارة الشرق وديانتها وحضارة العرب التي تحمل السمات الإسلامية والمسيحية وبعض آثار اليهودية إلى جانب ملامح باهتة من معتقدات قديمة تسربت من بقايا بابل وآشور وآمون.[1]

أما عن أهم المميزات والعناصر الحية البارزة التي تميزت بها مدرسة المهجر الأدبية فهي تتلخص في تسع مزايا كبرى هي:

1- التحرر من قيود القديم:

ظهرت المدرسة المهجرية مناهضة للأنماط والأساليب القديمة المهتمة باللفظ أكثر من المعنى، والتي تعنى بكثرة المحفوظ والصيغ والتعابير القديمة، وحشو الألفاظ وغريبها، ومعقد التعابير وقديمها، فلما ظهرت المدرسة المهجرية بخصائصها الجديدة وعناصرها الحية وثورتها الجريئة على كل قديم لا يصلح للحياة ولمسايرة العصر[2]...فكان الأدب المهجري وعلى الأخص أدب الرابطة القلمية...يشق طريقه باندفاع وجرأة، كما تشع أشعة الشمس طريقها إلى الكون من وراء الأفق البعيد العريض...فرأى الناس في المشرق هذا كله فهالهم ما رأوا وأحدث بينهم رجة عنيفة فانقسموا في تقديره إلى فريقين، فريق يؤيده متحمسا، وفريق يناهضه متحمسا أيضا،

1- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص 8.

2- عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 80.

أما الذين أيدوا مدرسة المهجر متحمسين فلأنهم وجدوا فيها حيوية دافقة ومسايرة للحياة، ولونا جديدا من الأدب القوي القريب إلى النفوس على نحو لم يألفه الناس في الشرق، وأما الذين ناهضوها، فلأنها جاءت تقلب إيمانهم القديم بأن يظل الأدب العربي مربوطا "بأمراس من كتان إلى صم جندل"*...وبرهنت لهم على أنه إذا قام شعر بألفاظه تكون القواميس خير الكتب(1).

وهكذا مضى المهجريون في أدبهم الجديد الجريء متحررين من كل ما لا يصلح للحياة الجديدة ومطلقين أنفسهم وأقلامهم على سجيتها: فلا يستعيدها قديم ولا يستهويها جديد، إلا ما يرضون به بمحض اختيارهم حين يشعرون بصلاحيته للحياة. هذا التحرر فيحياة الأدب المهجري جعل المهجريين...يبدعون في الخلق والتجديد والإبتكار في ...الشعر والنثر، من قصة ومقالة وكتب، ومن نقد ووصف، وتحليل وتأليف، وما إليها، وهكذا كانت مؤلفات جبران جديدة باهرة لم يعرف لها الشرق العربي مثلا في ما سبق، وكان "**غربال**" نعيمة دستورا أدبيا جديدا لم يألفه الشرقيون، وكانت "**جداول**"أبي ماضي تحمل في تضاعيفها ألحانا ومعاني ترتفع بالأرواح بعذوبة ولطف.(2)

فالمدرسة المهجرية خلاصة للعناصر القوية الساطعة والحية في روحانية الشرق.

2- الأسلوب الفني والطابع الشخصي:

من أبرز ما يتميز به كبار أدباء المهجر أنّلكل منهم طابعا خاصا يمتاز بيسر وسهولة عن طوابع الآخرين، وتظهر فيه شخصية صاحبه قوية بخصائصها، على الرغم من وحدة المنبع ووحدة الغاية لدى الأكثرين. فأغلب أدباء المهجر يغترفون من مناهل واحدة، ويهدفون إلى غاية واحدةأوغايات متقاربة، فهم يغترفون من داخلهم أولا، ويتأثرون بما يحيط بهم ثانيا، ويشعرون بالطبيعة شعورا عميقا...لكن بقدر اشتراك

---

*أمراس: جمع مرس وهو الشديد، يعني كذلك: الجبل، كتان: نبات زراعي، صم: وهو الشديد والصلب، جندل: هو الحجر، جمعه " جنادل.

1- المرجع نفسه، ص 81.

2- المرجع نفسه، ص 82.

هؤلاء الأدباء جميعهم في الإغراف من تلك المناهل الواحدة، والسعي إلى هذه الغاية الواحدة، وتختلف شخصياتهم الأدبية، بحيث يظهر كل منهم مستقلا عن الآخرين بطابعه الخاص في التفكير أوفي التعبير أو في كليهما معا.[1]

وكمثال على هذا شخصية أديبنا جبران خليل جبران الذي كان من أسبق المهجريين في البروز بتميزه الخاص سواء كان ذلك في أسلوبه أو في تنويع معطيات نتاجه، من قصص، ومقالات، وآراء، ومواقف، وقصائد، مقطوعات، وخواطر وآراء وأقوال وأمثال، ورسائل وأحاديث، ورسومأو لوحات فنية، وهي درس وتعليم وتأملات وتألفات صوفية، وانطلاقات فلسفية، ورؤى شمولية سلسلها هذا الكاتب اللبناني العربي عبر أطوار حياته، فهي تاريخ ذاته في مختلف نزعاته وتطلعاته، وطموحاته وتنوراته.[2]

أما بالنسبة للعناصر الباقية فهي تمثل جوهر ولب العمل الأدبي، وهي:

3- **الحنين إلى الوطن :**

لقد كان المهاجرون يعيشون في بيئة هم عنها جد غرباء وكانوا يعانون من غربة الحس والفكر والرّوح، وكانوا يشعرون بالإختناق في هذا الجو الذي تتحكم فيه الآلة ويريدون الانطلاق إلى عالمهم الروحي المثالي.[3]

لقد أضرم الاغتراب حنين المهجرين، فجعلوا يحنون إلى الشرق الذي مازال يرسف في قيود المذلة والهوان، ويتمنون له الحرية الكاملة ليتسنى لهأنيحتضنأبناءه من جديد كما تحتضن الدجاجة فراخها، وفي هذا الحنين أنتج لنا المهجريون شعرا رائعا عبقريا، سيبقى زغرودة في فم الأيام، لما ينضح به من حنين مشبوب، ووجد صادق، وما يزخر به من عاطفة محتدمة، وخيال ساحر.[4]

1- المرجع انفسه، ص 72 –74.

2- كاظم حطيط، أعلام ورواد فيالأدبالعربي، ص 404.

3- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص 69.

4- عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 80 – 81.

وهذا جبران الذي نال من الشهرة في الغرب والشرق مالم ينله أديب عربي آخر، ودرّت عليه شهرته في مؤلفاته ورسومه الأموال الكثيرة، ولكنه ظل طوال مدة هجرته يحلم بالعودة إلى لبنان، ليقضي أيامه في صومعة هادئة...[1]

4- **التأمل:**

هناك ميزات يتميز بها مهجريو الشمال، وميزات أخرى يتميز بها مهجريو الجنوب، وميزات ثالثة يشتركون فيها جميعا ولو على مقاييس متفاوتة...ونأتي الآن إلى ميزة اختص بها – في الأغلب – مهجريوالشمال، ونذكر منهم في المكان الأول، جبران، ونعيمة، ونسيب عريضة، وأبو ماضي، والريحاني، ولم يشترك مهجريو الجنوب بهذه المزية إلّا الأقلون، وعلى مدى ضيق، وميزة التأمل هذه هي من أبرز ما يميز أدب الرابطة القلمية، بنوع خاص عن سواه من آداب العرب جميعا، ونستطيع القول بأن الأدب العربي لم يعرف الأدب التأملي قط كما عرفه في أدب المهجر بشكل جديد رائع، فيه عمق ورحابة وشمول، وفيه قوة وحيوية وجمال.[2]

والتأمل يحدث في الحياة العادية وهو حاجة أساسية للإنسان إذ يبعد برهة عن صخب الفعل ويمنحه القدرة على الرؤية الصادقة والفهم والسيطرة على الأشياء، والتجربة يصيبها تغيير عميق حينما تنتقل من حيز الفعل إلى حيز التأمل وهي تتميز بنوع خاص من الثبات والوحدة والصفاء، والتجربة التأملية في أسمى صورها ترتفع بمدارك الإنسان وتسمو بها عن التدلي إلى الأغراض الحسية التي تثيرها غرائزه الشهوانية[3].

ومن هنا كانت التجربة التأملية من أرقى التجارب الأدبية، إذ تتعاون في تكوينها قوى الإنسان العقلية والشعورية والروحية والجمالية، فتخرج مادة هي مزيج من القدرات السابقة كلها فترضى كل ّذي قطرة نقية لأن صاحبها فيه من الفيلسوف حكمته ومن الشاعر رقته، ومن الصوفي شفافيته، ومن الفنان ذوقه.

1- المرجع انفسه، ص 82.

2- المرجع السابق، ص 88 – 89.

3- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص 41.

أما عن بواعث التأمل في الأدب المهجري فهي وإن كانت تختلف من أديب إلى آخر،إلاّ أنّ الظروف العامة للحركة الأدبية المهجرية تتشابه مهما تنوعت خيوطها، وتتمثل أهم هذه البواعث في: التكوين النفسي، الغربة والتوق إلى الانعتاق من القيود المادية والنفسية، الطبيعة الشرقية، الروح الدينية المتأصلة في نفوسهم، الرؤية المأساوية للحياة، التأثر بفلسفة الشرق وفكر المتصوفين والفلاسفة المسلمين.

5- النزعة الانسانية :

الإنسانية في مفهومها العام، هي نظرة واسعة إلى الحياة، والى الوجود، وعلى الأخص إلى المجتمع البشري، وهي الحلم الأكبر الذي يراود أخيلة المفكرين والشعراء والفلاسفة، وكل ذي قلب كبير، وضمير حي.

ومن معاني هذه الإنسانية في ما يتعلق بالجنس البشري: نشر المبادئ السامية، والمثل العليا بين الناس، ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان والعمل على خلق مجتمعإنساني يسوده العدل والرحمة والمحبة، وعلى تخفيف الشقاء الإنساني، وتصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس، أو هو بكلمة أخرى: المحبة الصحيحة لكل ما في الوجود، بغير تفضيل أو تفريق، ولعل أبرز دلائل هذه المحبة الكبيرة عند المهجريين – وأعضاء الرابطة القلمية منهم نبوع خاص – وأجدرها بالذكر، هو هذا النداء الرقيق الحنون الذي أشاعوه في الأدب العربي، وهو "**يا أخي**" أو " **يارفيقي** "، وهو نداء يلمس شغاف القلب، فيحيله إلى شعلة من الحنان والمحبة، ويفعل فيه فعل السحر.[1]

6- حب الطبيعة :

أدباء المهجر جميعهم من أخلص ابناء الطبيعة وعشاقها، فهم عميقو الإحساس بها، عميقو الحب لها والإتصال بها، يرون في كل ما فيها أشياء حية: تحب وتكره،

---

[1]- عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 93 – 94.

تسعد وتشقى، تفرح وتحزن، وترجو وتخيب، وهم لذلك يناجونها، ويستلهمونها، ويتمثلون بها، ويبثونها آمال قلوبهم وآلامها، وأشواق نفوسهم وحيرتها، وهي توحي إليهم بالحنين، إذ تذكرهم بما كانوا يجيدونه من جمالها الفتان في ربوع بلادهم، وتوحي إليهم بالتأمل العميق في أسرارها، وما أبدع الله فيها من معجزات تحار فيها العقول، وتوحي إليهم بالنوازع المهذبة والأفكار السامية، بالأخيلة البعيدة كأطراف الأفق، المترقرقة كالجداول المناسبة اللطيفة...[1]

7- البساطة في التعبير والرقة الغنائية :

خرج المهجريون بأدبهم من اعتبارات التقليد "فمنحوا أنفسهم الحرية التي كانت تعوز أدباء الشرق وشعراءه، سواء في نثرهم أم في شعرهم، ولهذا كان أدبهم شيئا جديدا، لأنهنسف مذاهب الشرقيين في الأدب، وفي الشعر، وفي الفن، وجعل أساس الأدب الحرية والبساطة قبل كل شيء، وألا يعطي الأديب والشاعر من عند سواه، بل من عند نفسه، وألا يلبس ثياب غيره ولو كانت موشاة بالذهب والحرير، بل يرى ثيابه مفصلة على قدّه، ولو خلت من كل بهرجة وصناعة.[2]

ولقد كان الكبار الممتازون من شعراء المهجر يتغنون من بعيد بشعر رقيق الألفاظ، لا أجراس فيه ولا طبول، سواء أطال فيه النفس أم قصر، وسواء كان في مواضيع غنائية وجدانية، أم في مواضيع اجتماعية أم تأملية أم سواها، ولم يكن ذلك عن ضعف أو هربا من تكاليف الشعر، فقد رسخ في عقيدتهم أن الشعر فن الحياة، لا تكلف فيه ولا تقليد... وصحّ في مذهبهم أن البساطة والرقة والغنائية هي عماد الجمال في الشعر وفي الفن، ولذلك سرعان ما وجد شعرهم، والكثير من نثرهم، السبيل سهلة إلى نفوس القراء في الشرق وفي المهاجر على السواء.[3]

8- الحرية الدينية :

1- المرجعنفسه،ص 98.

2- المرجع السابق، ص 104 – 105 .

3- المرجع نفسه، ص 103 -104.

الحرية هي الدعامة الأولى التي قام عليها الأدب المهجري، سواء في المعتقدات الفكرية والمذهبية الاجتماعية، أو في التعبير وفنون البيان والحرية الدينية عامل عظيم التأثير، ركن من أهم الأركان التي جعلت الأدب المهجري يظفر بما ناله إلى اليوم من التقدير والإعجاب، ويحتل مكانته البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث...،ففي أدب هؤلاء المهجريين الحرية في التفكير والتعبير والمناقشة والتفسير لشؤون الدين، بعيدا عن روح التعصب والجمود، والتسليم الأعمى لما جاء في كتب الدين وفي شروح رجاله...ولعل أول من جهر من المهجريين برأيه الصريح في الدين ورجاله، جبران خليل جبران، وأمين الريحاني...وقد كانا متفقين كذلك في حملاتهما العنيفة التي لا ترحم على الكثيرين من رجال الدين، وقد امتلأت بذلك مؤلفاتهما الكثيرة، حتى لقد رمي كلاهما بالإلحاد، وأحرق أحد كتب جبران من أجل ذلك في بيروت، ووضعت كتب الريحاني وجبران في القائمة السوداء التي يحرم على الكاثوليك قراءتها، لمخالفتها لتعاليم رجال الدين وتفسيراتهم لروح الدين الكاثوليكي.(1)

ونجد كذلك هذه الحرية الدينية عند أدباء المهجر الجنوبي سواء عند المسلمين أم المسيحيين كاشتراكهم في الإحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بتمجيده في نثرهم وشعرهم، وهذا نابع من إيمانهم بأن الدين لا يفرق وأنهم أبناء أمة واحدة،وهي الأمة العربية.

9- الوصف والتصوير:

يمثل التصوير أحد أهم العناصر التي يعتمد عليها أدب أي أمة للسمو بمادته وأسلوبه، والتأثير به في النفوس.

وقد اعتمدت المدرسة المهجرية "إلى حد كبير على جمال التصوير في الشعر والنثر على السواء، ولكن على مدى كبير من رحابة الأفق الإنساني ودقة الإحساس بشتى نواحي الحياة والمجتمع، والجمع بين العاطفة المشبوهة، والفكر الموجه الحر، والخيال الخصيب المجنح، مع عمق وحيوية عظيمين...فإذا كان التصوير في الأدب عامة، دعامة كبرى من دعاماته، تسبغ عليه أفانين من الرقة واللطف والجمال، وتترك

1- المرجع السابق، ص 115 – 116.

في النفس أعمق الآثار، فهو في الأدب المهجري خاصة إحدى مزاياه الجميلة التي برع فيها، وقدم منها ألوانا عجابا في مختلف صور الحياة، ونوازع النفس البشرية، والفكر الإنساني.[1]

وبالتالي فإن جميع هذه المناهل والخصائص وأخرى تمثل إحدى مرجعيات جبران خليل جبران الفكرية والأدبية والفلسفية والروحية...وقد تنوعت مرجعياته وخلفياته الفكريةانطلاقا من النزعة الإنسانية التي كانت شائعة عند أدباء المهجر عامة وعنده خاصة، فكان متعدد المنابع والمشارب في أدبه الجميل المبدع بتعدد مرجعياته العربية منها والأجنبية "فرنسية وانجليزية..."، ويمكننا تحديد أوإرجاع هذه المرجعيات إلى:

بلده الأم "لبنان" وما فيها من مناظر طبيعية خلابة تجذب النفس إليها وتترك العقل هائما بها يسبح في أماكنها وزواياها المفتوحة، وكذلك أحوال هذا البلد السياسية والاجتماعية وما فيه من أوضاع مزرية وأليمة في ذلك الوقت عليه وعلى كل فرد لبناني، وحتى على جارة بلده سوريا، حيث كان أدباء المهجر من لبنان وسوريا ومن نفس الديانتين المسيحية والإسلامية.

يقول "ميخائيل نعيمة" في هذا الصدد عن تأثير الطبيعة اللبنانية على جبران:«أمافي كتابات جبران فقد لمست بروحي أشواق لبنان وشاهدت هيبة ذاك الجبل وأنفته، وشعرت بعزمه وسمعت موسيقى عذرائه، وتنشتقت عطر ريحانة في منورات جبران، ومنظوماته، سمعت أنباء لبنان وسمعت خفقان قلبه....».[2]

كما أنه كان لمدرسة الحكمة البيروتية بين 1896 – 1901م بالغ الأثر في حياة جبران الثقافية حيث "إلتقى علومه العربية والفرنسية"[3]، واغترف منها ما يكفيه مؤونة

---

[1]- المرجع نفسه، ص 123 – 124.

[2]- ميخائيل نعيمة، الغربال، ط15، دار نوفل، بيروت – لبنان، 1991، ص 225.

[3]- محمد بوزواوي، معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009، دط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائري، 2009، ص 254.

العمر، ثم راح يغترف بقلمه وبريشته ما اغترفه من ذلك الجمال، وينثره بلباقة الفنان الأمين لفنه وسخاء الشاعر المثقل بالشعور.[1]

ولا ننسى أيضا بأنه كان للأدباء الغربيين وفنانيهم التأثير الأكبر أيضا على جبران،لأنه كان شخصية مأثرة ومتأثرة في نفس الوقت.

فقد تعرف في رحله إلى باريس التي منحته اياها ماري هاسكل على نفقتها، إلى المثال "**أو جست رودان**"، فأعجب بالفنان وتماثيله...ولم ينقطع اعجابه برودان قط، فقد كان يرى لعبقريته جانبين: الجمال الرائع والغرابة القوية ...وأن وعيه للحياة وعي فائق، وهو يجعل الآخرين أكثر وعيا للحياة، ويجعلهم يشعرون بها أكثر مما كانوا يشعرون بها من قبل.[2]ومن أمثاله فنانين كثر تأثر بهم.

ومن الشخصيات الأدبية والفكرية النسوية أيضا الشاعرة الأمريكية "**بربارة يونغ** " التي كانت سكرتيرة له، والتقى معها في الإيمان بالتقمص[3]، حيث ساعدته كثيرا في مشواره الأدبي وخاصة في مؤلفاته للفترة الأخيرة ومؤلفاته الانجليزية.

كما نجد أيضا بأن أديبنا كان متأثرا بالشاعر المشهور **ويليام شكسبير** الذي خصه بإجلال وإعجاب لم يخص بهما غيره، وكان يتوق بأن يؤلف كتابا عنه فلم تعنه ظروفه على ذلك[4].

ولا بد بعد من الإشارة إلى الفيلسوف الإستعلائي الأمريكي **رالف والدو أميرسون**إذ كان لفكره تأثير بعيد في أدباء عصره مثل الشاعر **والت ويتمان** الذي تأثر جبران بقصائده النثرية فلم نجد ما طبع من رسائل جبران إشارة إلى إطلاعه على فلسفة أميرسون، لكننا لا نخال مخطئين إذا قلنا أن جبران لم يكن بمنأى عن تأثيرها، وبين أفكار أديبنا والفيلسوف الامريكي أوجه شبه كثيرة، وقد نهلا كلاهما من معين

---

[1]- جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، تقديم وإشراف ميخائيل نعيمة، ط3، دار صادر، بيروت – لبنان، 1996، ص 9 .

[2]- جبران خليل جبران، النبي، ترجمة وتقديم ثروة عكاشة، ط3، دار المعارف، مصر، 1975، ص 25.

[3]- جبران خليل جبران، حديقة النبي، دراسة وتحليل نازك سابا يارد، دط، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2008، ص 11.

[4]- جبران خليل جبران، النبي، ثروة عكاشة، ص 26.

الفلسفة الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة[1]، ويعد" أفلوطين " عند كثير من المؤرخين بأنه هو من أثرى الفكر المسيحي أيما إثراء لدرجة ذهب فيها بعضهم إلى القول بأنه من المستحيل أن نفصل بين الأفلاطونية وبين المسيحية اللهم إلا إذا مزقت هذه الأخيرة، يقولإن الأفلاطونية جزء من البناء الحيوي للاهوت المسيحي، فلن نجد فلسفة أخرى تستطيع أن تقترن بذلك اللاهوت دون أن يحدث بينهما تعارض...[2]

إن فلسفته هذه شأنها تهتم بالباطن لا بالظاهر وتفضل العزلة عن العالم لا الإنخراط فيه، وتعلي من شأن القيم الروحية على حساب القيم المادية ...، نجدأن أفلوطينيلجأ دائما إلى استخدام الصور التشبيهية فيصور العلاقة بين الله وبين العالم كالعلاقة بين ينبوع الماء الدائم الصافي وبين المياه المنبثقة عنه في كل الإتجاهات.[3]

وكذلك نهلا من تصوف المسلمين ...ومن الرومنسية الأوروبية، ومعتقدات البوذية الهندوسية، فموقف أميرسون من الوجود كموقف جبران الذي كان موقف المؤمن بأن العالم هو «تصوري للعالم»[4]وشغف جبران بالأدب الألماني.[5]خاصة بفلسفة الفيلسوف نيتشةوتعاليمه.[6] سيد المتمردين والمتهكمين وحامل لواء الثورة على القيم الرثة التي يدين بها الناس فوق كل دين فانجرف بتيار نيتشه، وما برحت معتقداته السابقة تشده إلى الوراء فكان "المواكب" نتيجة لتلك الحالة القلقة التي أحسها جبران ما بين قوتين تتجاذبانه: قوة الإيمان بحكمة الحياة وعدلها وجمالها في كل ما تأتيه، وقوة النقمة التي أثارها فيه نيتشه من جديد على ضعف الناس وخنوعهم وتواكلهم وكل ما في حياتهم الباطنية والخارجية من قذارة وبشاعة.

1- جبران خليل جبران، النبي، دراسة وتحليل نازك سابا يارد، دط، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2004، ص 30 .

2- كامل محمد محمد عويضة، أفلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1414- 1993، ص 77.

3- المرجع السابق، ص 56 – 78.

4- جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص30.

5- كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ص 366.

6- ميخائيل نعيمة،المجموعة الكاملة، ص 26 – 27 .

ثار جبران بدء حياته الأدبية على الظلم الذي تجسد له أول ما تجسد في جور التقاليد والحكام وغطرسة رجال الدين في لبنان، وانتهت ثورته تلك برواية "**الأجنحة المتكسرة**"، وعقبتها فترة قصيرة من التصوف والإستسلام ما لبثأن أفسدها عليه نيتشه بثورته الجامحة الهاصرة، فقد كان كتاب "**هكذا تكلم زرادشت**" في نظر جبران من أعظم ما عرفته كل العصور.[1]

وثار جبران مع نيتشه على الحكام والرهابين وحدهم، بل على جميع الناس وتقاليدهم ومقاييسهم وموازينهم، وعلى الأسس الواهية التي أقاموا عليها صرح حياتهم.[2]

...ولكن جبران الذي جارى نيتشه في نقمته على الناس وضعفهم واستكانتهم إلى الذل والعبودية لم يجاره في نظرته إلى يسوع بل وفق ما بين إعجابه بنيتشه وبين محبته ليسوع بأن جعل من يسوع ذلك السوبرمان الذي كان يبشر به نيتشه.[3]

يصنف الدكتور حنا الفاخوري تأثير جبران بنيتشه في المرحلة الثانية من مراحل أدب جبران، فهو يسميها " الزراد تشتيه الجبرانية " هكذا تكلم زاردشت وهكذا سيتكلم جبران، سيحاول التكلم كنيتشه ...[4]

بعد أن كان جبران يسيل رقة في عواطفه، أصبح يهيم بالقوة في كتابات "نيتشه " بل أنكر ما كان يؤمن به أيام شبابه، وبخاصة مفهوم الحب، وقد أصبح عنده سيادة واستعلاء، وبلغ تأثر جبران بنيتشهوزرادشت حدا جعله يجيب على صديق طلب إليهأن يجمع مقالاته العاطفية " دمعة وابتسامة " في كتاب قائلا:

ذاك عهد في حياتي قد مضى * بين تشبيب وشكوى ونواح[5]

1- المرجع نفسه، ص 27 .

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع السابق، ص 28 – 29.

4- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخالأدب العربي، ط1، دار الجبل، بيروت – لبنان، 1986، ص 231.

5- جبران خليل جبران، النبي، ثروة عكاشة، ص 27.

أما عن الأعمال الجبرانية الأخرى المتأثرة بنيتشهوفلسفتة نذكر منها (العواصف – حفار القبور – الملك السجين – يابني أمي نحن وأنتم – الأضراس المسوسة – المواكب...الخ).(1)

الحب والحرية والتمرد، هي العناصر البارزة التي تقوم عليها "فلسفة جبران"،أو "مذهبه في الحياة"،وهي التي تكوّن مضمونه الأدبي، وينبثق منها رأيه في الحياة الشرقية، وتحدد له الأهداف التي كان يسعى إلى تحقيقها...(2)

وفلسفة جبران تطورت بتطور تفكيره الشديد، "فلم تتبلور فكرته إلا بعد مخاض طويل، فقدانطلق من لبنان يحمل ثقافة واسعة، وعقيدة مسيحيةانتقلت اليه من ذويه ومن بيئته ...وقد واجه في أمريكا الشمالية ما واجهه أكثر المهجريين من احتكاك بحرية فكرية واسعة، وتيارات إيديولوجية متباينة، ومنانفتاح واع على ما ينشر، وما يتداول، وما تصل أصداؤه وترجماته من أوروبا، وما ذهبت فيه الشيع البروتستانتية مذاهب تحريرية شتى فكان من ذلك كله أن نزع المهجريون الشماليون منزعا فلسفيا تداولوه في رابطتهم القلمية وغير القلمية، وراحوا يعالجون حقيقة الحياة وعالم الروح، وصدعتهم آراء " نيتشه "، وورومنطقية " وليم بليك "، وتخيلات " رينان " وخصوصيات روحانية التيوصوفية* ونظرياتها الحلولية والكونية...وكان حبران رأس المدرسة الفلسفية المهجرية، وكان نعيمة مكبرا لصوت جبران وموسعا لآرائه في كثير من الترديد وكثير من الشخصية.(3)

ولا شك أن جبران سلك في فلسفته طريق النمو التطوري، فكانت مرحلته الأولى مرحلة الرومنسية المتألمة التي تنتصر للدين من مفسديه، وللمجتمع والحياة الاجتماعية من الذئاب البشرية والظالمين، وكانت مرحلته الثانية مرحلة القوة والتمرد والثورة على التقاليد والعادات، والإمتداد في الطموح الإنساني إلى التحرر المطلق، وكانت مرحلته الأخيرة الوقوف مع المصطفى يسوعاإنسانيا أنهى دوراته التقمصية وتجوهر في الذات

1– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخالأدب العربي، ص 231.

2– خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، ط4، الدار العربية للكتاب، دب، 1978، ص 47 .

*التيوصوفية: تعني حكمة الله، وتتضمن علوم الفلسفة والدين.

3– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 237.

الكلية، وفي وحدة وجودية تشرق عليها المحبة، وتربطها بعضها ببعض برباط مقدس أزلي.[1]

وجبران خليل جبران صاغ فلسفته وركزها في كتابيه النبي وحديقة النبي،...وفي مواكبه، "مثلا يسوق إليك خواطر فلسفية في أهم شؤون الحياة البشرية كالخير والشر والدين والحق وغيرها".[2]

يقول الدكتور ثروة عكاشة عن جبران فيلسوفا على لسان عدنان الذهبي: «أيا تكن تلك الموضوعات الفلسفية والدينية والاجتماعية التي يعالجها جبران في كل من أدبه ورسمه، والتي يعالجها أيضا معالجه فنية، هي معالجة الفنان الأديب المتأمل الناقد ...وفهم جبران هو فهم أديب درس على الطبيعة والحياة أكثر من درسه على أساتذة الفكر والفن وأعلامهأديب جل ما فعل به اصطدامه بالثقافات الفلسفية والفنية أو صلة إلى آفاق هذا النشيد الفلسفي الأدبي الذي استأثر به أيما استئثار، وهو نشيد الإنسانية».[3]

وكثيرا ما نجد فلسفة جبران مقترنة بالتصوف (الإتجاه الصوفي)، سار "في طريق المتصوفين فاعتبر أن كل شيء في هذا الوجود طريقه المحبة، فإذا سار الإنسان على هذا الدرب تحرر من الجشع والطمع والغطرسة العقلية والثقافية، وتخلص من الإنقياد الأعمى للتقاليد، وتصبح روح المحبة هذه موضوع كتابة "**آلهة الأرض**" وتؤثر في كل ما كتبه في "**يسوع بن الإنسان**" كما ساعدته على خلق بطل كتابه "**السابق**" وهو الكتاب الذي يبلور لنا " رسالة " جبران كاملة، ويبين رأيه في الحياة ويتمكن فيه من خلق جو موطنه لبنان، ويطبعه بطابعه اللبناني الخاص كلمات وأفكارا.[4]

وقد اتضح من المؤثرات الفكرية على جبرانأنآراءه الماورائية ترتكز إلى الإيمان الصوفي بوحدة الوجود فالله والإنسان والطبيعة وكل ما في الكون وجوه مختلفة لوجود واحد، ومظاهر متعددة لحقيقة واحدة مطلقة أزلية أبدية، ومادام الوجود واحدا تكون

---

[1]- المرجع نفسه، ص 239.

[2]- جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، ص 23.

[3]- جبران خليل جبران، النبي، ثروة عكاشة، ص26 .

[4]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخالأدبالعربي، ص 227.

ذات الإنسان صورة مصغرة للعالم بأسره، وجوهر الإنسان هو جوهر "الوجود المطلق".[1]

كما أنه كان للتصوف الإسلامي الأثر الكبير في أعمال جبران النثرية والشعرية، تأثر بالدين الإسلامي كغيره من الأدباء المهجريين الذين كانوا "جميعا يؤمنون بأن الدين لا يفرق بينهم ما داموا إخوانا في العروبة واللسان والموطن...وبأن الرسول عليه الصلاة والسلام مفخرة للأمة التي ينسبون إليها والتي يجمعهم لواؤها تحت عزته ونقائه وأصالته...".[2]

وأخذ نصيبه أيضا من مجموعة من أعلام الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي أمثال **ابن عربي، أبي العلاء، الحلاج، الخيام، ابن الفارض، الغزالي** ...الخ.

ونلمح في عقيدة جبران بوحدة الأديان آثار نظرة المتصوف الإسلامي الحسن بن منصور الحلاج الذي يرى بأن الأديان كلها وجهات نظر مختلفة لحقيقة واحدة ينشدها الجميع، ويطلقون عليها أسماء مختلفة لا تغير من جوهرها، وإن ذهب الحلاج إلى أبعد من ذلك فرأى أن الله هو الذي اختار لكل طائفة دينا، ولسنا نحن اللذين نختار الدين الذي ننسب إليه، بل الله هو من يختاره ومع ذلك كانت نظرة "جبران" إلى المؤمنين بدين غير دينه في تقديره وجب استمرارا بتقاليد عربية طالما أظهر جبران إعتزازه بهما.[3]

وكمثال لتأثر جبران بالتصوف الإسلامي والدين الإسلامي، مسرحية "**إرم ذات العماد**" فيها إبراز لنزعته الشمولية الصوفية،فمن القرآن الكريم أخذ اسم هذه المدينة التي ورد ذكرها في سورة الفجر، وصورها في صورة غابة صغيرة زاخرة بالثمار والأشجار، تحتضن بيتا وحيدا قديما، وتقوم على مقربة من قرية الهرمل التي يسكنها

1- جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 24.

2- أدونيس الثابت والمتحول(بحث في الإتباع والإبداع عند العرب)، ج3، ط1، دار العودة، بيروت – لبنان، 1978، ص 241.

3- جبران خليل جبران، النبي ثروة عكاشة،ص 51.

الشيعة في شمال شرق لبنان، وجعل من أحداث المسرحية عصر يوم من أيام يوليه من العام الذي ولد فيه عام 1883.[1]

وجمع في هذه المسرحية بين شخصيات ثلاثة: أحدها مسلم صوفي من العجم في الأربعين من عمره سماه زين العابدين النهاوندي، وثانيهما أديب مسيحي من لبنان في الثالثة والثلاثين من عمره، يسعى وراء الحكمة أسماه نجيب رحمة، وثالثهما امرأة غامضة أسماها آمنة العلوية وإن جعل السكان ينادونها "جنية الوادي" [2]

ويحس المرئ وسط هذا اللقاء الذي جمع فيه "جبران" بين مسلم صوفي ومسيحي تواق إلى المعرفة في رحابإنسانة عرفت أسرار الحكمة القديمة في "إرم ذات العماد" يحس عمق إيمان جبران بوحدة الأديان، تقديره – وهو مسيحي – لصوفية الإسلام المتسامحة.[3]

أما التصوف بصفة عامة "فقد طبع تفكير جبران كله، ابتداء من إيمانه بوحدة الوجود التي تزول فيها المتناقضات، واعتبار الجسد قيدا يحول دون اتحاد الروح بمصدر وجودها، ومرورا بحنين هذه الذات وكشف الحقيقة المطلقة، كما بين أفلاطين والمتصوفون من بعده.[4]وبما أن أديبنا صاحب ديانة مسيحية، فإنه كان لهذه الديانة وفلسفتها حظ وتأثير في أدبه، "يأخذ من المسيحية ما يتماشى وأفكاره الأساسية[5]مستعينا في ذلك بالكتاب المقدس في العهدين القديم والجديد(التوراة والانجيل)، وتتضح المؤثرات المسيحية العميقة في جبران وانشغاله بثنائيات الحياة، فهو يؤكد الثنائية المسيحية الأساس بين الجسد والروح، وبخاصة في قصيدته "المواكب".[6]

1- المرجع نفسه، ص 52.

2- لمرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص 53.

4- جبران خليل جبران، النبي، نازل يارد، ص 29.

5- جبران خليل جبران، النبي،ثروة عكاشة، ص 26.

6- سلمى خضراء الجيوسي، الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت- لبنان، 2007، ص 138 .

وقد اعتقد المهجريون بثنائية الوجود، فالشر والخير ممتزجان فيه، فليس خيرا كله وليس شرا كله، وفي نتاجهم تتضح هذه الفلسفة حتى في طريقة الأداء، فهم مولعون بالمقابلات اللفظية والمعنوية والمساواة بين الأضداد وكأنهم بذلك يوحون إلى القارئ والسامع بأن الوجود مبني على هذا الأساس...[1]

وقد أخذ جبران عن البروستنانتية حرية الفكر في تفسير الكتاب المقدس، وانطلق يشكل بهذه الحرية مسيحية فطرية بعيدة عن مسيحية الإنجيل، قريبة من الصورة التي تخيلها لدولة الطبيعة، وهكذا خلق يسوع جديدا أصبغ عليه ملامح يسوع ولم يزوده بأفكار وجعله ينطق برسالته هو لا برسالة المسيح ....[2]

أما عن السمات العامة التي تميزت بها الفلسفة المسيحية التي تأثر بها جبران نذكر منها:

أ/أنالعقلأمر ضروري لاكتمال الإيمان، فلا يكفي أن أؤمنفقط، بل ينبغي علي أيضاأن أعقل ما آمنت به من قبل.

ب/ أنها فلسفة دينية في المقام الأول ...تجعل نقطة أن طلاقها الله فحسب لإثبات وجوده،حقيقة صفاته، وعلاقته بالإنسان، الخلاص، علاقة العالم بالله....

ج/ الفلسفة المسيحية علم وفن، نظر وتطبيق، رأي وعمل، بحسب هذا الرأي، فالعلم لا ينفصل عن العمل.

د/ ترى الفلسفة المسيحية بأن الإيمان يسبق التعقل، حيث يؤدي بطبيعته إلى التعقل "إن لم تؤمن فلن تتعقل". فالفهم مرتبط بالإيمان، والإيمان مرتبط بالفهم، وقد ذكرأن الفلسفة المسيحية لا تفصل بين العقل والقلب.[3]

والآن نأتي إلى الديانة البوذية الهندوسية ومعتقداتها في فكرة التقمص (تناسخ الأرواح) والتي أخذت من أدب المهجرين "قسطا كبيرا، فنادى نعيمة بمبدأ الحيوات

---

[1]- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص 297 .

[2]- جبران خليل جبران،النبي، ثروة عكاشة، ص 36 .

[3]- كامل محمد محمد عويضة، الفلسفة المسيحية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1413ه – 1993م، ص3 – 5 – 6– 7.

المتعددة للشخص الواحد، وأطلق عليه مذهب تجدد الشخصية"[1]، وتسمى كذلك بـــــــــــ:الدورة.

وفكرة تناسخ الأرواح، أي التقمص جاءت من كلمة القميص، فقد شبه الجسم بالقميص، فكما يخلع الإنسان قميصه القديم ويرتدي قميصا جديدا، هكذا تخلع الروح قميصها؛أي جسدها القديم بعد موته لتلبس قميصا جديدا؛أي طفل جديد في هذا العالم.

وبما أن الحياة واحدة لا تكفي لوعي الحقيقة آمن جبران بالتقمص الذي تقول به البوذية الهندوسية، فالموت ليس إلا أن تقالا من حياة إلى حياة، ولذلك قال المصطفى في كتاب النبي «سأحيا وراء الموت» وتعود النفس الانسانية في دورات حياتية لا نهاية لها، تقربها كل دورة من الحقيقة والكمال ومصدر الوجود، والله.[2]

والأرواح عنده تتناسخ، وفكرة الموت عنده تعني الانتقاللاالعدم، وهو يروي لماري هاسكل أنه يؤمن : " أنه عاش حياة بشرية في الماضي مرتان في سوريا ومرة في إيطاليا، وأخرى في اليونان، ومرة في مصر، وست مرات أو سبع في بلاد الكلدان وواحدة في كل من الهند وفارس، على أن وحدة الوجود عند جبران لا تعوق نمو الشخصية الفردية، ولا تحول بينها وبين الحركة الحرة المستقلة ذات الطابع الخاص ....، تحيا الأرواح في عالمه القائم وراء الوجود، وتمضي إلى جنة النفوس بعد التضحية من أجله والاستشهاد في سبيله وتحقيق الخلاص في محرابه[3]. ونجد تأثير الديانة البوذية الهندوسية وفكرتها في التقمص مجسدة في كتاب جبران المعنون بـــــــــــ **:عرائس المروج** في قصة " **رماد الأجيال والنار الخالدة** " احدى القصص الثلاثة .

تدور أحداث هذه القصة حول فتات وشاب أحبا بعضهما، لكن الفتات تموت قبل أن تتزوج بالشاب، وفي الفصل الثاني من القصة يرعى الراعي (الشاب) بأغنامه ثم ينام، فيرى أن الفتات التي كان يحبها جاءت لتملأ جرتها بالماء، وفجأة اتضح لهما

1- أدونيس، الثابت والمتحول، ج3، ص 332 .

2- جبران خليل جبران، حديقة النبي، نازك سابا يارد، ص 24 .

3- جبران خليل جبران، النبي، ثروةعكاشة، ص 36 – 37 .

أنهما المحبوبان الذين كانا سيتزوجان بعدما تحابا قبل قرون، فها هي آلهة الحب أعادتهما إلى الحياة ليسعدا بحبهما ويعيشان مع بعضهما البعض .

الفصل الأول:
مفاهيم نظرية حول التراث

1- تعريف التراث: المصطلح والمفهوم

1-1- المدلول اللغوي

1-2- المفهوم الاصطلاحي

1-3- مفهومه في الفكر العربي المعاصر

1-4- مفهومه في الفكر الغربي

2- أنواع التراث ومصادره :

2-1- التراث الديني

2-2- التراث الصوفي

2-3- التراث التاريخي

2-4- التراث الأدبي

2-5- التراث الشعبي

2-6- التراث الاسطوري

3- بواعث ودوافع توظيف التراث

4- الموقف من التراث

5- التراث والتجديد والمعاصرة

6- أهمية التراث

1- تعريف التراث (المصطلح والمفهوم) :

تعتبر مادة التراث وما تحمله من كم معرفي وثقافي وأدبي وفني رافدا مهما من الروافد التي تستند عليها الأعمال السردية والروائية وكذلك الشعرية منها، والتراث بأنواعه يعكس السياقات الفكرية والدينية واللغوية والأدبية المتنوعة وحتى الفلسفية منها التي تدعمه وتحقق له الإندماج مع الأزمنة اللاحقة المستقبلية لحياة الأمم.

وتعد قضية التراث قضية مهمة في وجود الأمم ومصدرا من مصادر نشاطها الإبداعي والحضاري بوجهيه (التراث)المادي والمعنوي، وللتراث مفاهيم متعددة لغة واصطلاحا.

1-1- المدلول اللغوي :

إنّ لفظ التراث في اللغة العربية مشتق من مادة " ورث " الوارث: صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها و هو خير الوارثين؛أي يبقى بعد فناء الكل، ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له.[1]

كما تعني مادة " ورث " " الورث والميزان في المال، والإرث في الحسب "[2]؛أي ما يرثه ابن من ابيه من مال وحسب.

ورثه ماله ومجده، وورثه عنه ورثا ورثه و وراثة و إراثة، أبو زيد، ورث فلان أباه يرثه وراثة وميراثا (وإراثه) وأورث الرجل ولده مالا إيراثا حسنا، ورث فلان مالا[3]أرثه ورثا وورثا إذا مات لمورثك فصار ميراثه لك[4].وورث في ماله:

1- ابن منظور، لسان العرب، مجلد 2، ط2، دار صادر، بيروت – لبنان، 1992، ص 199.

2- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق ومراجعة نواف الجراح وسمير شمس، ط1، دار الابحاث للترجمة والنشر، تلمسان- الجزائر، 2011، ص 748 .

3- ابن منظور، لسان العرب، ص 199.

4- المصدر نفسه، ص 200.

أدخل فيه من ليس من أهل الوراثة، وورث بني فلان ماله توريثا، وذلك إذا أدخل على ولده وورثته في ماله من ليس منهم، فجعل له نصيبا، وينقل ابن منظور في لسانه عن ابن الأعرابي: الإرث والورث والوراث والإراث والتراث واحد، وينقل عن ابن سيدة: والورث والارث والتراث والميراث: ما ورث وقيل: الورث والميراث في المال، والارث في الحسب[1].

فان تك ذاعز حديث، فإنهم * لهم ارث مجد، لم تخنه زوافر[2]

وقد وردت كلمة " تراث " في القرآن الكريم مرة واحدة في هذا السياق[3]في قوله تعالى في سورة الفجر :"كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ 17 وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ 18 وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا 19"[4] وقد فسر الزمخشري " عبارة " أكلا لما " بالجمع بين الحلال والحرام، وهذا هو معنى اللمم، وبالتالي فمعنى " تأكلون التراث أكلا لما " أن هم كانوا يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم، فالتراث هنا هو المال الذي تركه الهالك وراءه[5]، وجاء تفسير هذه الآية في تفسير " الجلالين " بمعنى الميراث، و" أكلا لما " أي: شديدا، للمهم نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه، أو مع مالهم[6].

1- المصدر السابق، ص 200.

2- المصدر نفسه، ص 201 .

3- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1991، ص 22 .

4- القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية17 – 19 .

5- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 22 .

6- جلال الدين محمد احمد السيوطي وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين للقرآن الكريم، تحقيق صبري محمد موسى ومحمد فايز كامل، ط3، دار الخير للقرآن الكريم، بيروت – لبنان، 1423ه – 2003م .

كما وردت مشتقات مادة " ورث " وما لحقها في كثير من مواضع القرآن الكريم، ككلمة " ميراث " فقد وردت في القرآن مرتين[1]في قوله تعالى في سورة آل عمران :

" وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" الآية 180 [2]، بمعنى أنه " يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من المال أو غيره [3]، وجاء في معنى تفسير الجلالين في تفسير هذه الآية بمعنى أن الذين يبخلون بالزكاة من المال سيطوقون بما بخلوا يوم الحساب والله هو الذي يرث المال بعد فناء أهله.[4]

وقال تعالى إخبارا عن زكريا ودعائه إياه كما جاء في سورة مريم "وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا 5 يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا6"[5]، فنقل ابن منظور في لسانه عن ابن سيدهإنما أراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة، ولا يجوز أن يكون خاف أن يرثه أقرباؤه المال [6] .

وقال تعالى في سورة النمل: " وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ16" [7].

ويقول عز وجل في سورة الأحزاب: " وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا6" [8].

1- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 22 .

2- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 180.

3- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 22.

4- جلال الدين محمد بن احمد السيوطي وجلال الدين عبد الرحمان بن ابي بكر السيوطي، تفسير الجلالين للقرآن الكريم.

5- القرآن الكريم، سورة مريم، الآية 5 – 6.

6 ابن منظور، لسان العرب، ص 200.

7- القرآن الكريم، سورة النمل، الآية 16.

8- المصدر نفسه، سورة الاحزاب، الآية 67.

2-1- المفهوم الاصطلاحي:

إن التراث هو كل ما حضر فينا من الماضي وممتدا إلى المستقبل، فهو مادة تحمل الفكر والسلوك وكثيرا من المفاهيم المادية و المعنوية، يعرفه الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه التراث والحداثة بأنه:<< نتاج فترة زمنية تقع في الماضي وتفصلها عن الحاضر مسافة زمنية ما تشكلت خلالها هوة حضارية فصلتنا ومازالت تفصلنا عن الحضارة المعاصرة...>>[1].

ويعرفه أيضا بقوله:<<فليس التراث هو ما ينتمي إلى الماضي البعيد وحسب، بل هو أيضا ما ينتمي إلى الماضي القريب، والماضي القريب متصل بالحاضر، والحاضر مجاله ضيق، فهو نقطة اتصال الماضي بالمستقبل ...، فما فينا أو معنا من حاضرنا، من جهة اتصاله بالماضي، هو تراث أيضا>>[2].

إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي، فإنهم يختلفون بعد ذلك في تحديد هذا الماضي، فبعضهم يرى أن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد، ويعرف التراث على هذا الأساس بأنه كل ما ورثناه تاريخيا، وبأنه كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة[3]، وهنا نلاحظ إشارة إلى أن التراث والتاريخ مفهوم واحدحيث يرى الدكتور بوجمعة بوبعيو بأنه لا يمكن

---

[1]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 30.

[2]- المرجع نفسه، ص 45.

[3]- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، د.ط، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002، ص 21.

الخلط بين مصطلحي التراث والتاريخ، فإذا كان التاريخ هو الماضي في بعده التطوري، فإن التراث هو الماضي في بعده التطوري موصولا بالحاضر ومتداخلا فيه، كما يمكن التمييز بين التراث والموروثانطلقا من أن التراث هو استمرار الماضي في الحاضر، في حين أن الموروث هو ما نملكه من التراث عينا، فيصبح بمثابة الخاص من العام، ولا يقتصر الموروث على الموروث الذهني بعناصره الدينية والخلقية والعاطفية والفلسفية، بل يتعداها إلى الموروث المادي[(1)].

ويضيفقائلا : <<فالتراث هو ميراث يخلفه السلف كأي شيء آخر مادي أو معنوي، وإن كان مقصورا على المعنويات كما هو شائع غير أن البعض يرى أن التراث نبش الكتب والمحفوظات والإنجازات التي نرثها عن الماضي، وإنما هو القوى الحية التي تدفعنا باتجاه المستقبل>>.[(2)]

ويعرف الدكتور حسن حنفي التراث بأنه كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات[3]، وهو ليس مجموعة من العقائد النظرية الثابتة والحقائق الدائمة التي لا تتغير بل هو مجموع تحقيقات هذه النظرية في ظرف معين، وفي موقف تاريخي محدد، وعند جماعة خاصة تصنع رؤيتها، وتكون تصوراتها للعالم، إذن هو ليس مخزونا ماديا في المكتبات، وليس كيانا نظريا مستقلا بذاته ...فإن التراث في الحقيقة مخزون نفسي عند الجماهير[(4)].

---

[1]- بوجمعة بوبعيو، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، 2007، ص 9 .

[2]- المرجع نفسه، ص 10 .

[3]- حسن حنفي، التراث والتجديد، ط4، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1412ه – 1992م، ص 13 .

[4]- المرجع نفسه، ص 15.

إذا التراث وما يحمله من مفاهيم امتدت من فترة زمنية ماضية وصولا إلى أخرى حاضرة، فهو غير مقيد بفترة محددة بل ممتد عبر الزمان، كونه يشكل مكونا أساسيا للواقع الذي يعشه الأفراد والشعب.

كما نجد تعاريف أخرى تحدد معنى التراث، حيث يعرفه طراد الكبيسي بقوله: <<فالتراث إذن ليس مجرد تراكم خبرات ومعارف ...وكتب ولكنه اعتراف أمام الذات والعالم، اعتراف بوجود، واعتراف بشخصيته لها وجودها التاريخي، والنفسي ...الخ ومن حقها أن تستقل وتنمو، وأن تشق طريقها وفق طبيعة ظروفها وأرضها وتاريخها وعلى أساس وحدة شخصيتها القومية وتفاعلها الحر مع التراث وتاريخها وعلى أساس وحدة شخصيتها القومية وتفاعلها الحر مع التراث الإنساني الحضاري الشامل، واعتراف أيضا بما حققه الماضي وما يمكن أن يحققه الحاضر والمستقبل من خلال اختبار وتقدير الطاقات الإبداعية فيإنسان هذه البيئة >>[1].

كما يضيف قائلا : << يعني هذا أن التراث ليس شهادة على ما حققه الماضي للحاضر، وما يقدر أن يحققه الحاضر للمستقبل، فالكاتب المعاصر بتعامله مع التراث كمصدر للتدليل على الحاضر قد توصل إلى الإيمان بأن الماضي والحاضرإنما يمتلكان نفس الخصائص الثابتة، وبأن النفس البشرية قد تخضع لنفس المشاكل والتناقضات في كل الأزمنة >>[2].

وقد ربط الدكتور طراد الكبيسي مفهوم التراث ومعناه وممارسته الفعلية بأفراد الأمة من مربين وعلماء يشتغلون ويسيرون أحوال الأمة في جل الميادين الاجتماعية منها والتربوية والسياسية ...الخ، حيث يري بأن التراث لا يجني ثماره لوحده وإنما

---

[1]- طراد الكبيسي، "التراث العربي"الموسوعة الصغيرة، ع 12، منشورات وزارة الثقافة والفنون،بغداد 1978، ص -5.

[2]- المرجع نفسه، ص 5 .

بتفاعل أبنائه وما يحملونه من محفزات، حيث يقول : <<والتراث بما هو خبرة وطاقة وشخصية الأمة التي أبدعته حسب مواهبها وظروفها يمكن أن يكون أداة شد إلى الخلف، ويمكن أن يكون وسيلة تسريع ودفع إلى الأمام، وذلك بحسب ما يبث في نفوس أبنائه من قيم ومشاعر وينير من مواقف، فالقيم الإقطاعية والعشائرية تفعل دون شك على الضد مما تفعله القيم الثورية والمواقف الإنسانية، لذا التأكيد على القيم الأخيرة من التراث ؛أي تقديم التراث بوجهه التقدمي الحضاري ووجهه العلمي الثوري.و هو ما يجب أن يشغل بالدرجة الأولى المعنيين بالتربية وعلماء الاجتماع والقادة السياسيين والمفكرين عموما، من أجل إحداث التنمية القومية الشاملة وتحقيق الثورة الاشتراكية واجتياز كل المظاهر إلى أساسيات الحياة >>[1].

أما الدكتور فهمي جدعان فيضيف مفهوم آخر للتراث بعد أن تعددت دلالاته وتشعبت بقوله :<<هو في كل الأحوال عمل أو إنجازإنساني خالص، فنحن لا نستطيع أن نتكلم على " التراث " إلّا حين نكون بصدد مبدعاتإنسانية، الإنسان فيها هو الصانع وهو السيد وهو المتمثل وهو المورث للآتي من بعده، بتعبير آخر لا تراثإلّا ما هو عرضيإنساني، زماني، ولا مورث إلّا ويكون عرضيا،إنسانيا زمانيا >>[2] ، ومن هنا نفهم بأن التراث في مفهومه مرتبط بالإنسان نفسه.

3-1- مفهوم التراث في الفكر العربي المعاصر :

مفهوم التراث يبدو في فكرنا العربي المعاصر واحدا منأكثر المفاهيم تجريدا وإثارة للبس والإبهام، فنحن لا نستخدم التراث استخداما واحدا، وبالمعنى نفسه دوما، وإنما نستخدمه عن أنحاء متعددة متفاوتة في الدقة والوضوح، فهو تارة " الماضي " بكل بساطة، وتارة العقيدة الدينية نفسها، وتارة الإسلام برمته، عقيدته وحضارته، وتارة

---

[1]- المرجع السابق، ص 5 – 6 .

[2]- فهمي جدعان، نظرية التراث، ط1، دار الشروق، عمان – الاردن، 1985، ص 17 .

" التاريخ " بكل أبعاده ووجوهه...ومنا من يتكلم اليوم على " موقف تراثي " أو على " موقف لا تراثي " وعمن لا يؤمن بالتراث، ويترتب على هذا الموقف أو ذاك جملة من الأحكام القيمية التي قد تتولد عنها مواقف اجتماعية أو سياسية غير حيادية [1].

والمقصود بالتراث العربي المعاصر كما يقول محمد عابد الجابري هو: <<الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية: العقيدة والشريعة واللغة والأدب والفن والكلام والفلسفة والتصوف...>>.[2]

ولا بد للباحث في مسألة التراث من العودة إلى عصر النهضة، لاعتبارين:

أولهما: أنّ التراث يرتبط بماضي غير محدد، لذا لا بد من تحديد نقطة في الماضي تكون منطلقا للبحث، وثانيهما: أن النهضة العربية المعاصرة كانت دليلا على اتصال الماضي بالحاضر، بعد الانقطاع الذي حدث بين التاريخ العربي وتاريخ الثقافة العربية في فترة التسلط الاستعماري على الأمة العربية[3].

تولدت النهضة العربية المعاصرة عن اتصال المجتمع العربي بالغرب الذي أيقظ المجمع العربي من سباته الطويل، ووضعه في مواجهة أسئلة متعددة تتعلق بماضيه، وحاضره، ومستقبله، وأخذ رواد عصر النهضة على عاتقهم الإجابة عن أسئلة النهضة التي تمحورت حول سؤال هام هو: كيف ننهض ونلحق بالحضارة التي تخلفنا كثيرا عن اللحاق بها؟ وفي ظل هذا السؤال النهضوي ولدت فكرة " الانتظام في التراث " التي توخى رجالات عصر النهضة منها أن تحقق " نقد الحاضر ونقد الماضي، والقفز إلى المستقبل[4].

1- المرجع نفسه، ص 15 – 16 .

2- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 30 .

3- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، ص 23 .

4- المرجع نفسه، ص 24 .

لم يكن الجواب عن السؤال النهضوي الذي طرح في نهاية القرن التاسع عشر واحدا، بل تعددت الإجابات، وتباينت المواقف، تبعا لتباين إيديولوجية المثقفين، واختلاف ثقافاتهم، ويمكنأن نتبين ثلاثة مفاهيم رئيسة للتراث، تشكل في مجموعها مفهوم التراث في الفكر العربي المعاصر، وهذه المفاهيم هي :

أ/ مفهوم التراث عند السلفيين :

يدعوا أنصار الموقف السلفي للعودة إلى التراث والتمسك بالقديم لمواجهة الغرب الذي أخذت حضارته تهدد المجتمع العربي ببنيته التقليدية retucellassidal struc التي رانت عليه طيلة فترة الاحتلال الاجنبي.

ويرفض الموقف السلفي كل ما هو جديد، ويدعوا إلى الوقوف بوجهه بحجة أن ه من نتاج مجتمع وحضارة غربيين عن المجتمع العربي، منطلقا في موقفه من رؤيتيين : دينية تقسيم العالم إلى مؤمن وكافر، وتنسب الكفر إلى الغرب وحضارته، وقيمته تصنع العنصر " الجنس في أولويات اهتماماته وتتطلع إلى الماضي حيث المجد الغابر والحضارة المزدهرة، ويسوغ الموقف السلفي رفضه للجديد والحضارة الغربية، وتمسكه بالقضية، بارتكازه في فلسفة مثالية idealism ترى أن قمة الحضارة وجدت في الماضي، وأنجزت لمرة واحدة فقط ولن تتكرر في المستقبل، ولذا يجب على الحاضر، لكي يكون جميلا وزاهرا، أن يعود إلى الماضي، ويحاكيه في كليته ،ويكون نسخة على صورته[1].

وقد تبدى التراث وفق التصور السلفي " مجرد تراكم كمي لأشكال من الوعي، تتجلى في تطورات وأفكار وتأملات ومفاهيم منبعها الأساسي، ومحركها الأساسي هو الذات بوصف كونها هي الخالقة للموضوع وللقيمة، وقد أدت هذه النظرة السلفية السجن

---

[1] -المرجع السابق، ص 24 .

التراص في الماضي، وقطع الصلة بينه وبين الحاضر من جهة، وبينه وبين تاريخه ومجتمعه الذي نشأ فيه من جهة أخرى[1].

ب/ **مفهوم التراث عند اصحاب الحداثة :**

يقع الموقف الرافض أنه على عكس الموقف السلفي – يرفض الماضي رفضا كليا، ويرفض العودة إلى التراث، ويقرأ الحاضر في ضوء المستقبل فقط ، ويستبدل الغرب بالتراث، منطلقا من أن المثل الأعلى يوجد في الآخر.

ج/ **الموقف الجدلي :**

يقوم على أسس ومبادئ تتناقض مع الأسس التي قاما عليها الموقفين السابقين، وقد واجه التيار الجدلي التيار السلفي بنزع القداسة عن التراث، والنظر إليه على أنه نتاج الوعي البشري في التاريخ والمجتمع، وواجه التيار الرافض بالربط بين الحاضر والماضي، والماضي والحاضر، عبر دراسة العناصر الحية للتراث، ودراسة علاقته التاريخية بقضايا الماضي في ضوء القضايا والمشكلات والأسئلة التي يطرحها الحاضر[2].

ويعرف الدكتور سعيد يقطن التراث العربي بانه :<< كلا غير قابل للتجزيئ والاختزال، فإننا ننطلق في ذلك من أنه أن تاج متكامل تشكل عبر حقب طويلة من الزمان، وظل يتفاعل مع مختلف ما يحيط به ويعتني بروافد شتى ظلت تسجل حضورها بين الفينة والأخرى، استجابة لضرورات تاريخية أو متطلبات اجتماعية>>[3].

---

[1]–المرجع نفسه، ص 25 .

[2]– المرجع السابق، ص 26.

[3]– سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، ط2، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 2006، ص 51 – 52.

انطلاقا من هذا التصور تصعب إقامة الحواجز والفواصل بين مكوناته لدواع تقوم على الانتقاء والاختزال بناءا على أحكام قيمية مركزية. أتينا على ذكر بعض تلك التمييزات التي تستطلع حواجز لتدخل ضمن هذا التراث ما تتوفر فيه بعض المقومات، وتخرج بعضا منه من دائرة الاهتمام، أو تقوم بتغييبه ولا تتعرف به لعدم توفره على المقومات التي وضعتها أساسا للتمييز.[1]

كثيرا ما نجد مفهوم التراث العربي بصفته خاصة والمعاصر بصفة عامة مرتبط بمفهوم التراث العربي الإسلامي، وهذا ما رأيناه في العديد من الدراسات التراثية التي تناولت موضوع التراث، على سبيل المثال لا الحصر نقرأ مفهوم الدكتور عابد الجابري للتراث العربي الإسلامي بقوله : <<هو انه مجموعة عقائد ومعارف وتشريعات ورؤى بالإضافة إلى اللغة التي تحملها وتؤطرها ...، إذن فالتراث العربي الإسلامي منظورا إليه من داخل منظومة مرجعية تتخذ الحضارة الراهنة، حضارة القرن العشرين، نقط إسناد لها، هو إنتاج فكري وقيم روحية دينية واخلاقية وجمالية ..."[2].

والتراث العربي الاسلامي، فضلا عن طابعه العالمي الإنساني، تراث يتصف بطابع الشمولية، فهو يتناول جميع مناحي الحياة الجماعية والفردية، والاجتماعية والفكرية، إنه تراث حضاري بأوسع معاني كلمة حضارة[3].

1-4- مفهوم التراث في اللغات الأجنبية :(الفرنسية-الانجليزية)

أما بالنسبة للغات الأجنبية المعاصرة الانجليزية والفرنسية بصورة خاصة، فان كلمتي héritage و patrimoine لا تحملان المضامين نفسها التي نحملها نحن اليوم

[1] - المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 30.

[3]- المرجع السابق، ص 28 .

لكلمتنا العربية : " التراث " أن معناها لا يكاد يتعدى حدود المعنى العربي القديم للكلمة والذي يحمل أسس إلى تركة الهالك إلى أبنائه[1].

فكلمة héritage بالإنجليزية كما جاءت في القواميس الانجليزية تعني " الموروثة عنده الولادة، كما تعني قانون الممتلكات الوريث[2]،وقد استعملت كلمة héritageفي معنى مجازي للدلالة على المعتقدات والعادات الخاصة بحضارة ما، وبكيفية عامة (التراث الروحي)[3].

أما كلمة « patrimoine » بالفرنسية فهي تعني التراث، و " الشخص " ورثناه جميع ممتلكاتنا عائلته، واتى فن المجتمع هو جزء من التراث[4].

كماأن مدلول مصطلح التراث في القواميس اللغوية الثنائية أو الثلاثية يعني " ارث، ميراث، وهو ما يقابل patrimoine ، كما يعني ذمة مالية "، وتعني الحقوق المالية les droits-aux (في اللغة الفرنسية).[5]

من خلال ما سبق يتضح لنا بأن التراث كمصطلح ومادة مهمة غني بمفاهيم متعددة تصب في عدة جوانب مادية ومعنوية وفي مجالات شتى اجتماعية، وسياسية، وأدبية، وثقافية، وفكرية ...الخ كما يقول الدكتور محمد عابد الجابري : << أن التراث بمعنى الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي و الفني>>[6].

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 23 .

[2]- Ga.wilkeswakrebs ,collinsyourk «conciseditionary »,4edition,librairiedu libanpublishers,beirut – lebanon,1999,p 672 .

[3]- محمد عابر الجابري، التراث والحداثة، ص 23 .

[4] – Marlénedelbeken,larousse « dictionnaire ».direction de la publication Chantal lambrech,paris cedex,2008,p12.

[5]- سهيل إدريس، المنهل (قاموس فرنسي عربي)، ط45، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2013، ص 883.

[6]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 23.

والتراث زمنيا ليس حكرا على الماضي فقط وإنما مربوط أيضا بالوقت الحاضر في تشكيله المكونات الأساسية الواقعية للمجتمعات (من عادات وتقاليد، ومبادئ...)كما أنه يمتد إلى المستقبل وهذا دليل على أنه حي لا يموت ولا ينقطع الا بانقطاع الحياة.

فهو شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية العميقة وينتقل من جيل إلى آخر محتفظا بهويته وخصائصه مع اختلاف البيئات والأزمنة.

والتراث يمثل كل إبداع فكري وإنتاج حضاري وتاريخي تفتخر وتزخر به كل أمة، كما أنه يمثل الآثار القيمية الروحية، والمادية (المخطوطات، المؤلفات، الآثار الحجرية ...)

كما نستنتج من خلال المفاهيم العربية والغربية لمادة " التراث " بأنه هناك بعض الفروقات، ولا يجمع بينهما سوى المعنى القديم وهو " توريث المال " (مادي)، حيث أن المصطلح بالترجمة الأجنبية لا يتطابق مع ما نقصده بالتراث في اللغة العربية، وهذا ما اكده الدكتور محمد عابد الجابري بقوله : " يظل معنى الكلمة فقيرا جدا إلى المعنى الذي تحمله كلمة تراث في الخطاب العربي المعاصر، أن الشحنة الوجدانية والمضمون الايديولوجي المرافقين لمفهوم " التراث "، كما نتداوله اليوم تخلوا منها تماما مقابلات هذه الكلمة في اللغات الأجنبية المعاصرة التي نتعامل معها " [1].

2- أنواع التراث ومصادره :

يمكن تحديد وتصنيف أنواع ومصادر التراث مبدئيا إلى مجموعة من المصادر المهمة والاساسية والتي تتمثل في " الموروث الديني، الموروث الصوفي، والموروث التاريخي، والموروث الأدب ي، والموروث الشعبي، والموروث الأسطوري "، حيثأن لهذه المصادر أثر الكبير ،وهذه المصادر ليست في الحقيقة دائما بهذا التمايز والانفصال فإن بينها من التشابك والتداخل مالا يمكن تجاهله، فأية شخصية دينية مثلا

[1]- المرجع السابق، ص 23 .

هي بالضرورة شخصية تاريخية، ومثل ذلك يقال عن الشخصيات الأدبية، والصوفية والأسطورية.[1]

1-2- التراث الديني :

مما لا ريب فيه، أن للبشرية أديانا سماوية، ومعترفا بها باطراد بين البشر، جاءت عن طريق الوحي من السماء، وهي على الترتيب: اليهودية والمسيحية والاسلام، ومما لا ريب فيه ايضا، أن هناك اديانا اخرى غير سماوية، تشكلت بطريقة ما، لتقوم بوظيفة الدين السماوي بين البشر، منها: الديانة المصرية القديمة والمجوسية والبوذية، ومعتنق عقيدة ما، تشكل طريقة أو بأخرى، رافدا تراثيا كبيرا في تكوينه الثقافي.

ويمكن أن يندرج التراث الديني تحت قسمين: الاديان السماوية والاديان غير السماوية، ولم يبرز من الاديان السماوية بروزا واضحا غير الاسلام، مع خفوت شديد في ظهور المسيحية واليهودية[2].

وكان التراث الديني ولا يزال في كل العصور ولدى كل الامم مصدرا سخيا من مصادر الالهام ...والادب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينيةأو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني[3]، حيث يتم توظيف التراث الديني أو التناص منه في " تغيير كلمة بكلمة اخرى، أو المحافظة على سياق النص الديني أو عدم المحافظة عليه ونقله إلى سياق

1- سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، إسلامياتأحمد شوقي، دط، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر، دس، ص 158 .

2- سعيد شوقي محمد سليمان، توظيف التراث في رويات نجيب محفوظ، ط1، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر، 2000، ص 4 .

3- سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، إسلاميات احمد شوقي، ص 158.

آخر، والقلب أي تغيير النص الديني، والاستشهاد حيث تكون العلاقة بين النص الحاضر والنص الديني علاقة مشابهة "[1] .

وقد كان للديانة المسيحية اثرها التراثي في الأعمال الأدبية للأدباء من خلال اعتمادهم على مصادر مسيحية دينية، ومن اهم هذه المصادر التي رجعوا اليها في أعمالهم " الكتاب المقدس "، الذي كان مصدرا للشعراء الاوروبيين الذين استمدوا منه الكثير من الشخصيات والنماذج الأدبية، وقد فتن الرومانتيكيون بشكل خاص بهذه الشخصيات الدينية المتمردة المطرودة – كشخصية " الشيطان " وشخصية " قابيل " القاتل الاول – وقد رفعوا من هذه الشخصيات نماذج للتمرد على كل ما هو عادي، وكل ما هو مقرر ومفروض، وعبروا عن تعاطفهم الكبير مع ما عانته هذه الشخصيات من عذاب ولعنة من جراء تمردها[2].

واذا كان "الكتاب المقدس" هو المصدر الاساسي الذي استمد منه الأدباء الأوروبيون نماذجهم الدينية، فان عددا كبيرا منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الاسلامية وفي مقدمتها " القرآن الكريم "، واستمدوا من هذه المصادر الكثيرة من الموضوعات والشخصيات التي كانت محورا لأعمال ادبية عظيمة[3].

ومن الشعراء الاوربيين الكبار الذين استلهموا المصادر الاسلامية في أعمالهم الأدبية الشاعر الايطالي " دانتي" في ملحمته الشهيرة " الكوميديا الإلهية[4]" حيث استلهم فيها حديث المعراج النبوي وغيرها من المصادر الاسلامية والعربية كقضية الاسراء والمعراج لأبي العلاء المعري وكذلك من أعمال محي الدين ابن عربي، ويعتبر دانتي

---

[1]– محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، ص 174 – 175.

[2]– علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دط، دار الفكر العربي، القاهرة 1417ه/1997م، ص 75.

[3]– سعاد عبد الوهاب عبد الكريم،إسلاميات احمد شوقي، ص 159 .

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من كتاب أدب الآخرة، ومنهم" أيضا الشاعر الألماني " جوته " الذي قرأ القرآن في ترجمته الألمانية، وترجمته اللاتينية، وأعجب به اعجابا كبيرا، دفعة إلى أن يستلهمه ويستمد منه كثيرا منه كثيرا من النماذج الأدبية والموضوعات والصور في ديوانه المشهور " الديوان الشرقي للمؤلف الغربي "، ومنهم ايضا الشاعر الفرنسي " فيكتور هوجو " الذي قرأ القرآن بدوره في بعض ترجماته الفرنسية، واستلهم منه الكثير من الموضوعات والنماذج الأدبية في ديوانه " المشرقيات " « les Orientales » ....، ومن الشخصيات التي استمدها من التراث الاسلامي شخصية " إبليس " الذي يطلق عليه نفس الاسم الذي اطلقه القرآن عليه – وموقفه من الله سبحانه وتعالى – الذي يسميه ايضا باسمه الاسلامي – كما استمد في بعض أعمالهتصوير المصادر الإسلامية للعالم الأخر ، وما فيه من نعيم للطائعين حيث يسكن " الحور " العين في قصور الجنة، ويعذب العاصون في " جهنم " التي تسمى الطبقة السابعة منها " السجين " وهو يستعمل هنا ايضا نفس الاسماء الاسلامية لكل هذه المعطيات[1].

كما يظهر تأثير بعض الأدباء الألمانأيضا بالدين الإسلامي وذلك من خلال " الكتابات الالمانية في العصور الوسطى لأول مرة عند " الأديب " ولفرام الايشنباخيWolfram Von Eschenbach ففي روايته المسمات Gralsroman – التي الفها في العقد الأول من القرن الثالث عشر – يجعل الفارس جاهموريتالانيونيآبا بارسيفالparzival– يرتحل إلى المشرق، ليس لإظهاره هناك كفارس صليبي، لكن كحليف لأمير شرقي ضد أمير عربي آخر، أو كمقاتل ضد حكام مسيحيين، حيث يقوم بخدمة ملكة سوداء (مسلمة)، اعتبر ولغرام أخلاقهما في غاية النبل والطهارة ....، وبعد أن يرتبط جاهموريتالانيوني بها، تنجب له ولدا اسمه فايريفيتسfeirefiz نصفه اسود والنصف الآخر ابيض ... وكان له اخ غير شقيق اسمه يارتسيفالparzival ....،

---

[1]- المرجع نفسه، ص 159–160 .

وتظهر موضوعية الشاعر ولفرام الاشتنباخي وموقفه الايجابي من الاسلام في نهاية الرواية بوضوح ، ففي وصفه لمنازلة بارتسيفال لأخيه فايريفيس غير المعمد بلونيه الأبيضوالأسود، حيث كان كل منهما يرتدي قناعا حربيا – لا يميز ولغرام الايشنباخي بين البطل المسيحي والمعمد والبطل (المسلم) غير المعمد، بل يقر لهما جميعا بوداعه الحملان وشجاعة الأسدان، أما المستوى الاخلاخي الرفيع ...للمسلمين فقد اظهره ولفرام بأسلوب رائع في روايته الصليبية المسمات قيلليهالمWellehalm (1210-1220)[1].

فمن خلال تأثر ادباء الغرب بتراث الدين الاسلامي يبرهن لنا مرة اخرى بان هذا الدين يتميز بخصوصية العالمية والشمولية، فهو حضارة أنسانية عالمية، كما نجد له تأثيرا شديدا أيضا على أدباء عرب مسيحيين وهذا ما أكده الدكتور معجب العدواني بقوله : <<إذ يبدوا اثر الإسلام دينا والقرآن الكريم نصا واضحا في أدب جرجي زيدان وادوارد الخراط وغالب هلسا وغيرهم من الروائيين المسيحيين، ولا يقل اثر الدين في كتابات الروائيين الموصوفين بالعلمانية كنجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس وغيرهما، فقد تعددت أعمال زيدان المتضمنة ملامح إسلامية بعضها في التاريخ الإسلامي ...>>[2].

وقد تشعب الاسلام بما فيه من تراث كبير، في القنوات التالية:

أ/ القرآن الكريم، الحديث النبوي، قصص الانبياء (سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، سيدنا آدم عليه السلام، سيدنا موسى عليه السلام، سيدنا يوسف عليه السلام، سيدنا نوح

---

[1]– هوربرتهيركومر، صورة الإسلام في التراث الغربي (دراسات ألمانية)، ترجمة ثابت عيد، تقديم محمد عمارة، دط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 1938، ص29 – 30 .

[2]– معجب العدواني، الموروث وصناعة الرواية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1434 – 2013، ص 17 .

عليه السلام، سيدنا سليمان عليه السلام، سيدنا يونس عليه السلام، سيدنا ايوب عليه السلام، سيدنا لوط عليه السلام)[1].

وأكثر شخصيات الرسل شيوعا " شخصيات محمد عليه الصلاة والسلام، عيسى المسيح، وموسى وأيوبعليهم والسلام، ولقد كانت شخصية محمد عليه الصلاة السلام هي أكثر شخصيات الرسل شيوعا في نتاج المرحلة الاولى – مرحلة التعبير عن الموروث، ولكنها في المرحلة الثانية – مرحلة التعبير بالموروث – تخلت عن تلك المكانة، من حيث شيوع استدعائها، لشخصية المسيح عليه السلام التي اصبحت اكثر شخصيات التراث الديني" .

ويضيف الدكتور علي عشري زايد رايا مهما حول قضية توظيف الشخصيات الدينية حيث يرى بان الأدباء المسلمون يتحرجون في تأويل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم خوفا من التأثم فيه، بينما الأدباء المسيحيون لم تكن عندهم هذه النظرة إلى المسيح وهذا ما اكده بقوله : " ...لم يكن مضطرا المثل هذا التأويل، ولا لتحميل شخصية الرسول ملامح معاصرة، وانما هو ينقلها كما هي في مصادرها التراثية ...ومن ثم فان شعراءنا كانوا يحسون بنوع من التحرش من توظيف شخصية الرسول في إطار " صيغة التعبير ..." تأثما من أن يتأولوا في شخصية الرسول الكريم، أو أن ينسبوا لا نفسهم بعض صفاته، وهم في هذا التأثم يصدرون عن نظرة الاسلام إلى شخصيات الرسل، وما ينبغي أن تحاط به من قداسة، بينما لم يكن المسيحيون ينظرون إلى شخصية المسيح عليه السلام – وشخصيات بقية الرسل – بمثل هذا القدر من التحرج والتأثم، حيث تناولوها غير قليل من الجرأة في اعمالهم الفنية والادبية، ومن ثم فلم يتحرج شعراؤنا وادباءنا من التوسع في استخدام شخصية المسيح، نظرا لغناها

[1] –سعيد شوقي محمد سليمان، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ص 4 – 7 .

بالدلالات ...ونتيجة لذلك فقد اصبحت شخصية المسيح عليه السلام هيالأكثر شيوعا، وتبعتها شخصية المسيح محمد صلى الله عليه وسلم في نسبة الشيوع[1].

والى جانب المفهوم المسيحي الخالص لشخصية المسيح الذي شاع في ادبنا المعاصر، هناك مفهوم آخر اسلامي، أو بمعنى ادق اسلامي مسيحي، يتمثل في تلك الملامح من شخصية المسيح التي وردت في القرآن – مع ورود بعضها في الاناجيل – من مثل قدرته على احياء الموتى، ففي القرآن الكريم [2] في قوله تعالى : " اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورات والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الاكمه والابرص بإذني واذ تخرج الموتى بإذني واذ كففت بني اسرائيل عنك جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم أن هذا الا سحر مبين "[3] .

اما شخصية موسى عليه السلام فهي اقل شيوعا من شخصيتي محمد وعيسى عليهما السلام، وأكثر دلالاتها شيوعا استخدامها رمزا للشعب اليهودي المعتدي، وهو تأول خاطئ لشخصية موسى عليه السلام ينزلق إلى شعرائنا، فموسى واحد من الرسل الذين بشروا بقيم سماوية نبيلة، وتحملوا في سبيل دعوتهم الكثير، والقيم التي جاء بها موسى تتنافي كلية مع ما تمثله الصهيونية المعاصرة من عدوان وشر[4].

اما ايوب عليه السلام ... فهو رمز للصبر على البلاء والايمان في المحن والرضا التام بقضاء الله [5].

---

[1]– علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 77 – 78 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 89.

[3]– القرآن الكريم، سورة المائدة، اللآية110 .

[4]– علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 77 – 78 .

[5]– المرجع السابق، ص 90 .

كما توجد هناك شخصيات أخرى مقدسة تصنف ضمن التراث الديني وهي: "شخصية (مريم عليها السلام)، وشخصية (لعازر) الذي أحياه المسيح بعد موته، وقد شاع توظيف لعازر رمزا للبعث والحياة بعد الموت ...، ومن الشخصيات المقدسة الاخرى ايضا شخصيا الملائكة " جبريل وعزرائيل عليهما السلام "[1].

كما تم توظيف الشخصيات المنبوذة وهي تلك الشخصيات التي ارتكبت خطيئة فحلت عليها اللعنة لتمردها على ارادة الله عز وجل، وعلى قمة هذا الفريق كما سبق الذكر يقف " الشيطان " ويتلوه في الصف " قابيل " بن آدم أو ل قاتل على وجه الارض متحديا ارادة ابيه وارادة الله، أما الفريق الثاني فسبب لعنته السقوط وليس التمرد، وعلى راس هذا الفريق يقف " يهوذا " تلميذ المسيح الذي وشى به إلى الكهنة [2].

2-2- التراث الصوفي :

يعتبر التراث الصوفي مصدرا من أهم المصادر التراثية التي استمدها الأدباء والمفكرين ووظفوها في منتجاتهم الأدبية والفكرية وفي مختلف العصور القديمة والحديثة والمعاصرة، لما يحمله هذا التراث من قيم وتجارب روحية وفكرية، وحتى اجتماعية، وهو مرتبط بالجانب الديني أكثر من أي جانب آخر.

أما حول مفهوم التصوف فقد تعددت تعاريفه بحسب وجهات نظر اصحابه، وسنعرض بعضا منها للفهم لا للحصر.

لفظ " تصوف " مشتق من اسمه صوفي، وهي مشتقة من الصفاء، فجعلوا منه " صوفي " فعلا مبنيا للمجهول من صافى، وقلب صوفي تجنبا للثقل[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 93 – 96 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 98 .

[3]- فاطمة داود، (التصوف الاسلامي مفهومه واصوله) مجلة حوليات التراث، العدد 1، جامعة مستغانم، الجزائر، 2004، ص 63.

فالتصوف يمكنأن يوصف بأنه " اكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعا "، بمعنى اشمل يمكن تعريف التصوف بانه ادراك الحقيقة المطلقة، سواء سميت هذه الحقيقة " حكمة " أو " نور " أو " عشق " أو " عدم " [1].

فالتصوف يمكنأن يعرفبأنه " حب المطلق " فبذلك الحب يتميز التصوف الحقيقي عن طقوس الزهد الأخرى، وحب الإله يجعل المريد يتحمل كل الآلام والمصائب التي يبتليه الله ليختبر حبه ويطهره، بل ويجعله يتلذذ بها[2].

قال الجنيد : << التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام>> ويعرفه أيضا بقوله :<< هو استرسال النفس مع الله على ما يريد >> ، وقال عبد الرحمان القناد : <<هو نشر مقام واتصال بدوام >> ، وقال بشر بن الحارث : << الصوفي من اختاره الحق لنفسه فصافاه وعن نفسه برأه >>إذن فالصوفية (أو المتصوفة) هم آهل الباطن[3]. وطريق التصوف كما يقول الدكتور نافعه وكليفرود " يجمع بين الزهد والتصوف في أن واحد، وهو يتطلب تصفية النفس التي تهيؤها للاتحاد مع الحقيقة الإلهية"[4].

والتصوف بمفاهيمه ومبادئه موجود لدى كل الامم والديانات وليس حكرا على ديانة معينة دون سواها، غيرأن الدارسين لهذا العلم أن صح القول من مفكرين ورجال دين اختلفوا في تحديد أصل التصوف ومرجعيته.

---

[1]– ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد اسماعيل السيد – رضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل كولونيا، بغداد، 2006، ص 7 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 8 .

[3]– فاطمة داود، التصوف الاسلامي مفهومه واصوله، ص 64 – 65 .

[4]– حسن نافعة و كليفوردبوزورث، تراث الإسلام (الجزء الثاني)، ترجمة وتحقيق مؤنس حسين وإحسان صدقي العمد،د ط، عالم المعرفة، الكويت، دت، ص 37 .

لم يتفق هؤلاء على راي سواء تعلق الامر بحدودهأو بأصوله، فاختلفت الآراء والمشارب حوله، فالتصوف ليس ظاهرة إسلامية خاصة بل إ جذوره وعروقه لتمتد في أي فكر ديني عموما، حتى أن كثيرا من الدارسين ربطه بأصول غير إسلامية[1] وانه مذهب دخيل في الاسلام، مأخوذ أما من رهبانية الشام واما من افلاطونية اليونان الجديدة (الفلسفة اليونانية)، وإما من زرادشتية الفرس،وإما من فيدا الهنود، [2] أو أصول مسيحية.

ومن الاصول الدينية والتصوف نذكر:

1- الديانة الفارسية والهندية :

من الباحثين من يرد التصوف إلى أصول الديانة الفارسية التي ظهرت بخرسان حيث تلاقت الديانات والثقافات الشرقية وبعد دخول اهلها الاسلام صبغت بعض المبادئ الاسلامية بالصبغة الصوفية القديمة، ويرى المستشرق نيكلسون بأن :" التصوف قد يكون عن تأثيرات خارجية غير اسلامية كالبوذية وانه ليس في القرآن اصل للتفسير الصوفي " والديانة الفارسية هي ديانة زرادشتية أن تشرت في ايران والمدن المجاورة لها واصبح لها رجال دين هم طبقة الكهنة وجمعت تعاليمها في كتاب يسمى " ابستاق " ولما أن تشر الاسلام بفارس اعتنق اهلها الاسلام وقضى على هذه الديانة[3].

وجوهرها أن ها تؤمن بوجود إلهأعظم عالم للماضي والحاضر وهو خالق الخلق ويخاطب زرادشت الإله كصديق حميم ويمدحه حتى الموت، كما تعتقد هذه الديانة أن الخلاصة من القيود المادية إلى الحياة الروحية لا يكون الا بالطهارة الخالصة عن طريق التحرر النهائي من الجسد وقيود، ويرد تأثير هذه الديانة على التصوف إلى دور

1- فاطمة داود، التصوف الاسلامي مفهومه واصوله، ص63 .

2- ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، ط1، دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1984،ص 48 .

3- فاطمة داود، التصوف الاسلامي مفهومه واصوله، ص 65 .

الفرس في الدولة العباسية واشتغال رجالها في الدواوين والوزارات فنقلوا بعض افكارهم[1]، ومن اشهر شعراء الصوفية الذين نظموا اشعارهم بالفارسية هو دون شك صاحب ديوان " مثنوي ومعنوي " جلال الدين الرومي (ت 672ه / 1273م) [2] .

أما بالنسبة للديانة الهندية فقد تعددت الديانات فيها منذ القدم فعبدوا الاوثان (حيوانات، شمس) وعبادتهم " لبترا " معبود مقدس تقدم له الهدايا، وجوهر هذه الديانة الايمان بعالم الأموات الذين يؤثروا في الكون[3].

ثم بعد مراحل تاريخية ظهرت ديانة جديدة هي البوهمية وانقسم معتنقوها قسمين، قسم موحد وقسم وثني والنفس عند البوهمية هي جوهر لحياة خالدة صافية وإذا اتصلت بالجسد تغيرت إلى الكدر وهي خالدة تنتقل من جسد إلى آخر وهذا ما يسمى بتناسخ الارواح، وظلت حتى ظهور " بوذا " الذي أوجد الديانة البوذية وكان خبيرا بالحياة واسرارها يهدف إلى الخلاص من متاعب الحيات وآلامها وعلى الإنسان الذي تصبو نفسهإلى السعادة " النرفانا " أن يصل إلى الفناء وذلك بالتحرر من القلق، وكل التعليمات البوذية تدعوا إلى التأمل والتركيز الباطني، فهذا يؤدي في رايهم إلى خلق ملكات روحية[4]. ووجه التلاقي في الصوفية الاسلامية مع الديانة البوذية هو في حالة الفناء (اي أن يعني عماله ويبقى بما لله، اي بقاء تعظيم الله وفناء في تعظيم ما سوى الله) عند الصوفية التي توازي " النزفانا " وفكرة الحلول التي توازي التناسخ – ويرى البيروني أن الصوفية اخذوا من فكرة (التناسخ) التناسخ حين قالوا :(الدنيا نفس نائمة

1- المرجع السابق،الصفحة نفسها.

2- حسن نافعة وكليفوردبوزوت، تراث الإسلام (ج2)، ص 63 .

3- فاطمة داود، التصوف الاسلامي مفهومه واصوله، ص 65 .

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ونفس يقظة)،يرى المعارضون أن هذه الحجج غير كافية الارواح من جسد لآخر أما الفناء فعرفناه سابقا [1] .

2- الديانة اليهودية والمسيحية :

تأثر اليهود بالزرادشتية نتيجة الاسر والسبي في بابه " 586 ق م " وعاشوا تحت الحكم الفارسي ثم صاروا رعايا الامبراطورية المقدونية بالتبعية .

يرى جولد تسهيرأن الصوفية تأثرت باليهود مستدلا بدخول بعض اليهود الاسلام ووضعهم الكثير من الاحاديث النبوية الاسرائيليات " وان نظرية التشبيه والتجسيم لدى اليهود تشبه نظرية الاتحاد والحلول لدى الفلسفة الإسلامية، ويقول الشهرستاني " وجدوا التوراة مملوءة بالمشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهرا والنزول من طور سيناء أن تقالا والاستواء على العرش استواء " وينقل بعضهم هذه الاقوال بان الاستواء والتكلم جهرا والتجسيم ليس من افكار الصوفية وهذا وخيل عليها وهناك فرق بين الفلسفة والتصوف [2].

أما بالنسبة للمسيحية فقد نقلت أفكار الرهبنة والزهد إلى العرب نتيجة التجارة، يقول المستشرق مركس :<< أن التصوف الإسلامي مأخوذ من رهبانية الشام خاضع للروحانية المسيحية >> كما يرى نيكلسون أن المتصوفة تشبهوا برهبان النصارى في لبس الصوف، ووافقه ماسينيون واعتبرا التصوف دخيل على الإسلام بديل اختلافهم مع مذاهب أهل السنة [3].

ان الفرق بين الرهبنة والتصوف هوأن التصوف لا يلجأ إلى المجاهدة البدنية والنفسية كما هي عند الرهبنة المسيحية من تعذيب للبدن وانقطاع عن العالم، بل المجاهدة

1- المرجع السابق ، ص 66 .

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الصوفية نفسية من صبر وصلاة وصوم ...، أن موضوع الرهبنة وطبيعة السيد المسيح وعلاقته بالتصوف تظهر في أن الرهبنة هي التحرر المطلق من كل شيء ورفض الماديات .

3- الفلسفة اليونانية وأثرها على التصوف :

يرى " رنولد صاحب كتاب التصوف بانه من المستحيل ربط نشأة التصوف بالعامل الهنديأو الفارسي بل أن نشأته وليدة اتحاد الفكر اليوناني والديانة الشرقية، أو بعبارة اخرى هي وليدة اتحاد الفلسفة الافلاطونية الحديثة والديانة المسيحية ".[1]

ويدور مذهب افلاطون حول الله والنفس والعقل، فالله جوهر العقل وهو المحبوب المبدع الذي تشتاق إليه الصور العليا وهو قديم لا يتغير، وان الجواهر العقلية قد خاضت وتفاضلت مراتبها نتيجة اختلافها قربا وبعدا من النور الأول الذي فاضت منه.والنفس جوهر كريم وهي نقطة تدور حول العقل، والعقل جزء يهيم باشتياق إلى الله والنور الأول، والحكماء هم اللذين إذا ارادوا الحكمة تشوقت نفوسهم إلى صانعها الحكيم ومن هنا قيلأن الله هو المعشوق الأول ذو جمال مطلق.

أما " أفلوطين " (204م – 261م) زعيم الافلاطونية الحديثة فهو يذهب إلى أن الله هو الاول والآخر ومنه يصدر كل شيء، وان الاتصال بالله والفناء فيه هو الهدف الحقيقي وهو غير متناه، منزه عن كل صفة وان مبادئ هذه الافلاطونية نجدها عند المتصوفة العرب كالحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم ممن تغنى بالحب الإلهي والسكر الروحي ووحدة الوجود والاشراق ،فالحب الصوفي هو حب فلسفي يهيم بالجمال ليصل إلى معانيه الروحية، ويتفق أفلوطين مع الصوفيين المسلمين في رياضة النفس [2]، تدريبها على " العبودية وردها لأحكام الربوبية [1] والاتصال بالله مع اشتراط

---

[1]- فاطمة داود، (التصرف الإسلامي مفهومه وأصوله)، مجلة حوليات التراث، ص 67.

-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الذهول لحدوث ذلك بمداومة التأمل ليتم الاتصال بالعلة الأولى (الله) وتخسر وجودها الجزئي وتشعر بالسعادة لأنها اصبحت شيئا واحدا مع الله[2] .

4- التصوف في الديانة الاسلامية :

قد بين نيكلسونNicholson أن إطلاق الحكم بان التصوف دخيل في الإسلام غير مقبول، فالحق أن نلاحظ من ظهور الإسلام أن الأنظار التي اختص بها متصوفة المسلمين نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث[3]...، وبدافع إلى التأمل في القرآن عن طريق المداومة في تلاوته أو " التعمق " « interiorize » في روحه اذا صح هذا التعبير، فالقرآن يتضمن...عددا من العناصر المتعلقة بالزهد والتصوف، وبعض الآيات القرآنية تذكر الناس مرة بعد الاخرى بان الله حاضر معهم، وبالخوف من الحساب، وزوال كل الاشياء الانسانية، وجمال الفضيلة وما إلى ذلك، وهناك آيات اخرى تعطي النفس المتدينة الفرصة للوصول إلى لب العقيدة، وهكذا نجد سلسلة من الآيات التي تذكر الانسان برسالته وتؤكد على حاجته إلى أن يقيم في قلبه صرحا عامرا بالتقوى والايمان[4].

هناك آيات اخرى تصنع الانسان في الطريق نحو حياته الباطنية، وتقوي حيات التأمل التي نشاهدها عند الصوفية، وذلك من خلال الكثير من الرموز والتشبيهات الحية

1- نور الهدى الكتاني، الأدب الصوفي في المغرب والاندلس في عهد الموحدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1971، ص 9.

2- فاطمة داود، التصرف الاسلامي مفهومه واصوله، ص 68 .

3- ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، ص 48 .

4- حسن نافعة وكليفوردبوزوث، تراث الإسلام (ج2)، ص 54 .

في القرآن، والقرآن يوضحأن الله يعلم ما في نفس نبيه، وهو يصف ايضا سقوط الشيطان عن درجته [1].

واخيرا هناك عدد معين من الامثال الخاصة التي ترد كثيرا في كتابات الصوفية ترجع في اصلها أيضا إلى القرآن، مثل نار الله ونوره، وحجب النور والظلام التي تطبع على القلب والضمير كرمز للبعث(أو بالأحرى كرمز لخلود النفس)، والجانب الاقصى من السماء (سدرة المنتهى)، والشجرة التي تمثل نزعة الانسان ومصيره، والكأس والخمر، والسلام، والتي ترمز كلها إلى الاكرام الخاص للمؤمنين – اذ يجلسون على الأرائك في الجنة وما إلى ذلك[2].

ولنضيف إلى هذه المفاهيم القرآنية تلك المعاني التي تحث على التقوى والتي لم ترد في الأحاديث النبوية وحدها بل وردت أيضا في الأحاديث القدسية التي تروى عن الله مباشرة ولها قوة في الدعوة إلى الاتجاه نحوى التأمل الباطن تفوق قوة الأحاديثالأخرى[3].

وختاما يجدر القولأن التصوف الاسلامي هو خلاصة الحكمة في الآداب الاسلامية والفضائل النبوية وهو زبدة الدراسات النفسية والقلبية في الفكر الاسلامي، وثروة فكرية وثقافية وادبية ضخمة ...كما أن الصوفية هم اللذين ارتفعوا بالأدب وجعلوه سلاحا نبيلا للدعوة إلى الله، فهو ادب صادق يصدر عن تجربة حية عاشها الصوفيون بين الحلم واليقظة وبين الأمل والألم[4].

1– المرجع نفسه ، ص 56 .

2– المرجع السابق، ص 56 – 57 .

3– المرجعنفسه ، ص 57 .

4– فاطمة داود، التصرف الاسلامي مفهومه واصوله، ص 70 .

والأدب الصوفي يمثل احد اهم منابع الابداع الأدب ي شعراء ونثرا ،" فهو الكلام الجيد الطبع الذي يدنو من فهم سامعه، فهو كذلك التعبير بطريقة راقية، عما يختلج في النفس والشعور من احاسيس ومشاعر،...،[1]

فهو ادب يفيض حبا واشراقا وسموا وابداعا، والاديب الصوفي يتسامى كمالا وطهرا بمعاييره الايمانية ونشواه الوجدانية وحبه للذات الالهية[2].

3-2- التراث التاريخي :

التاريخ عموما هو ما حدث في الماضي ويمتد إلى الحاضر، ويتحدد مفهومه بالمراحل التطورات التي لا تثبت على حالة واحدة، والتي تخص الجوانب السياسية، الاقتصادية، الثقافية والادبية خاصة، ومنه كانت التسمية بالتاريخ السياسي، والتاريخ الاقتصادي، التاريخ الثقافي والتاريخ الأدب ي ...الخ[3].

ويعد التراث التاريخي من أهم المصادر التي لجأ اليها الكاتب كإطار يأخذ منه ما يتناسب مع مشاكل وقضايا عصره[4]، ويعتبر التاريخ منبعا غنيا للأدباء من روائيين وشعراء يستلهمون منه الاحداث التاريخية والشخصيات التاريخية بغية توظيفها في نصوصهم فيقومون بتجسيد هذه الاحداث والشخصيات تبعا لما يتوافق مع آرائهم واحاسيسهم ومشاعرهم ومعاناتهم ومجتمعاتهم وفق رؤية معينة باعثين فيها الماضي في

1- نور الهدى الكتاني،الأدب الصوفيفي المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ص 22 .

2- فاطمة داود، التصرف الاسلامي مفهومه واصوله، ص 70 .

3- جعفر يابوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمال، دط، المركز الوطني للبحث في الانترولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران - الجزائر، 2007، ص 73 .

4- أماني عبد الجواد، التراث في مسرح مهدي بندق الشعري، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2008، ص 105 .

الحاضر وربط الاجيال الحاضر بأصولها الماضية وفق رؤية أن سانية معاصرة تكشف هموم الانسان ومعاناته واحلامه وطموحاته .

فالأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فان لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية، والقابلة للتجدد – على امتداد التاريخ – في صيغ واشكال اخرى، فدلالة البطولة في قائد معين، أو دلالة النصر في كسب معركة معينة تظل – بعد أن انتهاء الوجود الواقعي لذلك القائد أو تلك المعركة – باقية وصالحة لان تتكرر من خلال مواقف جديدة، واحداث جديدة، وهي نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات وتفسيرات جديدة، واحداث جديدة، اذ " أن التاريخ ليس وصفا لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصرة لها، أن ه ادراك أن سان معاصر أو حديث له ، فليست هناك اذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي " وهذه الدلالة الكلية للشخصية التاريخية، بما تشتمل عليه من قابلية التأويلات المختلفة هي التي يستغلها[1]الأدباء من روائيين وشعراء في التعبير بها عن بعض أحوالهم وتجاربهم التي يضفون عليها بدورهم بعدا تاريخيا وحضاريا.

ومن الشخصيات التاريخية التراثية التي استدعاها الأدباء شخصيات سياسية كالحكام والامراء والخلفاء، وابطال الثورات، وشخصيات دينية كالأنبياء والرسل والصالحين، واخرى مقدسة، وشخصيات ادبية كالشعراء وغيرهم ...الخ

وتوظيف التراث التاريخي من قبل مستخدميه ومستعمليه يعكس مدى ادراكهم وعيهم للعمق التراثي التاريخي لأممهم وعمق إحساسهم بتاريخ أو طأنهم .

4-2- التراث الأدبي :

التراث الأدب ي هو الآخر من المصادر التراثية المهمة والاساسية .

[1]– علي عشرى زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 120 .

فهو ما كان مقابل التراث الشعبي،أو هو أدب ذاتي يختلف بلا شك في شكله وتعبيره عنالأدب الشعبي[1]،ومن الطبيعي أن يكون الموروث الأدب ي هو اثرى المصادر التراثية[2]، وتوظيف النصوص التراثية الأدبية في النصوص الأدبية الحديثة هو نوع من أن واع التناص« intertextualité » يحدث بصورة مقصودة واعية، ويستهدف توجيه تلك النصوص، لنقل رؤى وافكار معاصرة[3].

والتراث الأدب ي يتفرع إلى نوعين كبيرين هما " الشعر والنثر " فهما منبعان أساسيان ينهل منهما الأدباء ما طاب لهم .

ويتمثل فرع الشعر ي " النصوص الشعرية ...من شعر شعبي واغنية شعبية "[4] كما يظم القصائد بأنواعها التي توظف في مختلف الأعمال الأدبية باستخدام شخصياتها وأبطالها كرموز دلالية .

ويعد المصدر الأدب ي من المصادر التراثية الاساسية التي عكف الشعراء...المحدثون على استدعاء عناصر منها يثرون بها تجاربهم ورؤاهم الفكرية المعارضة، فهو النموذج الذي لابد لأي شاعر لاحق أن يلم به معرفيا، حتى يتسنى له ابداع الأدب ، اذا اراد لأدبه ولغته النمو والتطور، ولا يخلو أي شعر...في ادب أي امة من الامم من هذه الرابطة التي تشد الشاعر إلى " اجداده الشعراء " كما يقول ت ، س ،اليوت ،فضلا عن كون التراث الأدب ي يمثل خلاصة مكثفة لتجارب اجيال من

1- سعيد شوقي محمد سليمان، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ص 09 .

2- عبد السلام هارون، قطوف ادبية، ط1، الدار السلفية للنشر، دب، 1988، ص 138 .

3- حصة بنت زيد سعد المفرج، توظيف التراث الأدب ي في القصة القصيرة في الجزيرة العربية(رسالة ماجيستير)، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2005، ص 104 .

4- المرجع السابق، ص 110 .

الشعراء والحكماء التي تثري القصيدة المعاصرة بالدلالات والمعاني العميقة، وتوطد العلاقة مع المتلقي الذي يحس بانتماء القصيدة المعاصرة[1].

أما فيما يخص الفرع النثري وبخصوصه فهو يشمل الامثال بنوعيها الفصيح والشعبي[2]، والقصص والحكايات، والروايات، والدراسات، والمقالات، والكتب الدينية والفلسفية ...الخ .

وكمثال لهذا الجانب النثري مثلا في امتنا العربية والاسلامية عندنا " القرآن الكريم" المعجزة ببلاغته والفاظه، الغني بمعانيه حيث تغذت منه النصوص النثرية بقيمه وأفكاره، اخذ الشعر من رحيقه وشذاهمازاد فيه بهاءا وحسا وروعه وجمالا.

وبعد توظيف النصوص الأدبية تضمينا مهما وملمحا مهما من ملامح تفاعل النصوص وتداخلها، ويقصد به تداخل نصوص ادبية مختارة قديمةأو حديثة شعرا أو نثرا مع النصوص الاصلية بحيث تكون هذه النصوص منسجمة وموظفه ودالة قدرا الامكان على الفكر التي سيطرحها الأديب.

5-2- التراث الشعبي :

يمثل التراث الشعبي الابوة التي يعد الانسان ابنها الشرعي، مدموغا بها، متشكلا بأمشاجها وجيناتها المتوارثة والمتراكمة والتي تعمل فعلها دون صخب وبهرجة، ليظهر في النهاية ما اختطته الأجيال السابقة خطوة خطوة عبر العصور المتعاقبة[3].

والتراث الشعبي هو الفنون والمعتقدات، وانماط السلوك الجمعية التي تعبر بها الجماعة الشعبية عن نفسها، سواء استخدمت الكلمة أو الحركة أو الاشارة أو الايقاع، أو الخط أو اللون أو الكتلة أو آلة بسيطة، ولعل قائمة بالمواد الفولكلورية

---

[1]- عبد الرحيم حمدان، استدعاء التراث الأدب ي في تجربة فوزي الشعرية، ديوان العرب، منبر للثقافة والفكر والادب، 18 تشرين الثاني 2010، ص

[2]- حصة بنت زيد سعد المفرج، توظيف التراث الأدب ي في القصة القصيرة في الجزيرة العربية، ص 110 .

[3]- سعيد شوقي محمد سليمان، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ص 13 .

المفصلة إلى حد كبير يمكن أن تسهب من إيجاز التعريف السابق فالفولكلور « folklore » يتضمن الاساطير والحكايات الشعبية بأنواعها المتعددة، والنكت والامثال والالغاز والترانيم والرقى والتعاويذ واللعنات، واساليب القسم، كما يتضمن ايضا العادات الشعبية والطب الشعبي والموسيقى الشعبية وآلاتها، والاغاني الشعبية بأنواعها، والتأثيرات الشعبية المأثورة، والتشبيهات الشعبية والكنايات الشعبية، وأسماء الأماكن والكنى والألقاب، والشعر الشعبي والكتابات التي تكتب على شواهد القبور ...الخ[1].

ويمثل أدب التراث الشعبي احد ركائز ودعائمالأدب الرسمي، وذلك " لما يحتويه من رموز كنوز فكرية وثقافية مختلفة وناطقة من جهة وغامضة من جهة "[2] .

والأدب الشعبي ينبعث من عمل الأجيال العديدة من البشرية من ضروريات حياتها وعلاقاتها مع افراحها واحزانها، واما اساسه العريض فقريب من الارض التي تشقها الفؤوس، واما شكله النهائي فمن صنع الجماهير المغمورة المجهولة، أولئك الذين يعيشون نصف الواقع[3]ويتميزالأدب الشعبي بأنه حركة دائمة، وواسع الفضاء الرمزي .

ومن أجمل ما اخذ الكتاب ووظفوه من التراث الشعبي " الحكايات والطقوس والمعتقدات".

إن الحكاية الشعبية " هي العنصر الاساسي في التعبير الشفهي لثقافة ما، وهي تقدم عددا من الصفات التي ترتبط بهيكل المجتمع الذي تعيش فيه في فترة معينة من

1– المرجع نفسه، ص14 .

2– سعيد محمد،الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 14 .

3– المرجع السابق، ص 14 .

حياته[1]، فالحكايات " قديمها وحديثها من كنوز المعرفة التي لا تقدر بثمن، فمضمونها وقف على تاريخ الإنسان وإدراكه للعالم وتصوره إياه، لذلك عدت مصدرا خصبا من مصادر دراسة نمط تفكير الشعوب ورؤيتها للكون ومعرفة مواقفها من القضايا الجوهرية التي عانت منها وشغلتها روحا من الزمن كالموت والخلود والمقدسوغيرها[2].

وتتميز الحكاية الشعبية بعمرها الطويل، فهي تقال وتردد وتحكى عبر العصور والقرون، وعادة ما يكون مصدرها حكايات أخرى كانت تروى منذ مئاتأو آلاف السنين، ومن الممكن ايضا أن تكون بقايا اسطورية أو افكارا أو معتقدات قديمة، ومن المحال معرفة اين أو متى ولدت، مادامت تعيش في كل مكان وكل زمان دون تحديد زماني أو مكاني تختفي الحضارات وتتعاقب الثورات السياسية والاجتماعية والدينية، ولكن هذه

الحكايات لا نعرف مصدرها بالتحديد تعيش في ذاكره بعض الرواةأو الباحثين فهي ثمار لتأملات وتجارب الشعوب[3].

إن ما يشد انتباهنا في الحكاية ليس فقد السرد والرواية، ولكن ايضا المعنى الرمزي للعبارات، " فالرمز يعني شيئا خفيا، غامضا، والحكاية تشمل على اكثر من المعنى الواضحأو المباشر، فهذا المعنى لا يمكن تحديده بدقة، أو تفسيره كلية، فالإنسان

---

[1]– عزاء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، ط 1 الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، القاهرة، 1997، ص5 .

[2]– كاملي بلحاج، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 71 .

[3]– غراء حسين مهنا،أدب الحكاية الشعبية، ص 6 .

يحمل في فكره كل الهواجس والقلق، وكذلك هموم وسعادة العالم في شكلها البدائي أي الرمز[1] .

وكما نعلم اليوم بان الرمز صار سمة من سماتالأدب المعاصر سواء كان شعرا أم نثرا.

أما فيما يخص " الطقوس والمعتقدات " فهي : " تلك التطورات والأفكار والمعارف التي أنتجتها المخيلة الشعبية، التي لها صلة بالجانب الروحي من حياة الانسان...، هي ظاهرةحضارية تعبر عن تكيف الانسان مع محيطه الغامض في حدود ثقافته ووعيه، وهي بالإضافة إلى ذلك تكشف عن جوانب مختلفة من حياة الامة ومراحل تطورها، لأنها تحمل ارثها الثقافي والفولكلور الذي صنعته اجيالها في تواصلها مع بعضها البعض عبر القول والفعل في لحظة التقاء الماضي مع الحاضر عبر المقدس، وهي من هذا المنظور ايضا جزء من ممارسات الانسان وتصوراته في علاقته بوضعه الاجتماعي والاقتصادي والنفسي والثقافي ،كما أن ها دعوة لاستمرار الحياة ومحاولة لفهمها وتسخيرها [2].

وفي هذه النقطة بالذات تكمن فاعلية المعتقد وقوته التي تجعله يشمل العديد من المجالات الروحية والنفسية ويتقلد مقام الصدارة في حياة الشعوب والافراد، فهو ينتقل من جيل إلى آخر عبر قنوات الممارسة والفعل الطقوسي دونأن يتخلى عن سمته الرمزية التي تربطه بعوالم التحريم والتقديس[3].

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن التراث الشعبي هو ما خلفته قرائح الأقدمين وصفوة الأسلاف من فكر وعلم وفن و فنون حضارة ونمط عيش .

1- المرجع السابق، ص 57 .

2- كاملي بلحاج، اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، ص 120 .

3- المرجع نفسه، ص 137 .

ويظل التراث بعامة والشعبي بخاصة محتفظا بعلو منزلته وسمو مكانته وثراء قيمه، وما كان لجذوتهأن تحبوا إذا تعامل معه من يحسن بعثه ويجيد استثماره، ويقصد معالم القوة فيه ومكامن الغنى والإشراق[1]، وهذا الأمر لا يأتي الا عن طريق مثقفي الامم ببعثهم هذه المنجزات التراثية والحضارية في إعمالهم الأدبية والفكرية .

6-2- التراث الاسطوري :

تحتل الاسطورة مقاما هاما في كثير من العلوم الانسانية الحديثة، ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا (مالينو فسكي) مثلاأن لفظه الأسطورة لا تنطبق إلا على ما ينبع عند البدائيين من " حكايات " لإرضاء حاجات دينية [2] عميقة، أي أن ها تعبير ديني اجتماعي، وكل ما عدا ذلك مثل القصص التي تروي عن ارباب اليونان وما شابه ذلك فإنما هي لون من الحكايات الشعبية لا الأساطير، ولكن دارسي الأدب لا يقفون عند هذا التحديد الصارم، وانما يتقبلون في نطاق " الاسطورة " اشياء كثيرة لا يقبلها بعض علماء الانثروبولوجيا...[3].

أ/ في مفهوم الاسطورة ونشأتها :

تعددت تعريفات الأسطورة تعددا واسعا، بسبب تعدد منطلقات الدرس الأسطوري وغاياته ووسائله وتداول المصطلح في مختلف مجالات العلوم الإنسانية، أي صلته بما سمى : " الحضور الكلي " « L'ubiquité » في المعرفة، أو " الدراسات البينية " « L'interdisciplinaire » التي تعني تردد موضوع واحد بين أكثر من حقل معرفي، ومن اللافت للنظر أن ثمة تباينا، أحيانا بين تلك التعريفات، يمتد ليشمل الباحث الواحد احيانا ايضا، وغالبا ما يكون لكل تعريف دوره الوظيفي بحيث يطوعه هذا

---

[1]- المرجع السابق، الصفحة نفسها .

- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د ط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، د ت، ص 128 .[2]

[3]- المرجع نفسه، ص 129 .

الباحث أو ذاك، أو يلوي عنقه، لصالح العقل المعرفي الذي يشتغل في مجاله[1] أو هي " مظهر لمحاولات الانسان الاولى كي ينظم تجربة حياته في وجود غامض خفي إلى نوع ما من النظام المعترف به " ، وقد اشترط " غريمال " « Grimal » لتسمية مغامرات العقل الاولى بالأساطير أن تكون تلك المغامرات حول تكوين العالم وولادة الآلهة، أي " الأساطير التيوغونية " (المتعلقة بنسب الآلهة)، أو " الأساطير الكوسموغية " (المتعلقة بنشأة الكون).

أما بالنسبة لنشأة الأسطورة " فثمة نظريات كثيرة حول نشأة الاسطورة، يحاول اعلام كل منها نحض مقولات سابقة، وانتاج مقولات جديدة، كما يحاول لي عنق الدرس الاسطوري وفق المنهج الذي يصدر عنه ويمكن تنضيد معظم تلك النظريات في ثلاثة، وهي :

1- الاسطورة والطقوس الشعرية والدين :

يرد اصحاب هذه النظرية مجمل الاساطير إلى الطقوس التي كان الإنسان في المجتمعات الأولى يؤديها استرضاءا لقوى الطبيعة، ويحاج هؤلاء بذلك التشابه القائم بين الاساطير القديمة، أي تشابه الدوافع التي أنتجتها، وقد رأى " جيمس فريزر " « James Frazer » الذي عالج الميثولوجيا الاغريقية بوصفها وجها من وجوه الديانة الإغريقية، وقال بتبعية الأسطورة للطقوس ونشوئها عنه، أن ثمة اعتقادا كان شائعا في المجتمعات القديمة بان هناك وسائل تمكنهم من اتقاء شرور الطبيعة حولهم...،وهذا أكده " د عبد المنعم تليمه "بقوله : <<إنه على الرغم من التطور الذي حققه الانسان البدائي في مواجه الطبيعة، وفي تسخيرها للوفاء بحاجته الاساسية، فقد ظلت سيطرته عليها ومقدرته على تفسير ظواهرها الخارقة قاصرتين، ولذلك كان

---

[1]– نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 12 .

يحس بالعجز ازاءها، لكنه لم يستسلم...بل لقد تخطى كل ذلك بأداة فذة خلق بها عالما جديدا، ولم يكن هذا العالم المخلوق وهما وانما كان هدفا عجزت ادوات الانسان وخبرته العملية عن خلقه وكانت تلك الاداة الفذة في يد الإنسان البدائي هي الأسطورة>>[1].

2- الاسطورة والتاريخ والواقع :

يذهب اصحاب هذه النظرية إلى أن الوقائع التي ترويها الاساطير هي وقائع تاريخية احتفظت بها الذاكرة البشرية لفترة طويلة قبل أن يكتشف الإنسان الكتابة، وعزز هؤلاء نظريتهم بالقول أن عددا غير قليل من الاساطير القديمة هي نوع من التدوين البدائي للتاريخ، بمعنى أنه يحفظ في داخله بعض الحقائق التاريخية الموغلة في القدم .

وتتخذ الأسطورة الأدبية الحالية أبعادا أساسية واجتماعية وواقعية وتاريخية محضة،كما أنها تحاول معالجة هذه القضايا من منطلق واقعي، كما أن ها تتبنى دائما قضايا ذات قيمة جماعية : لان البطل في الاسطورة يحمل قيم الجماعة كفرد منهم[2].

3- الاسطورة والرمز :

تنهض هذه النظرية علىأن الأساطير جميعها فعالية مجازية ورمزية، وتتضمن في داخلها حقائق تاريخية أو أدبية، أو دينية، أو فلسفية، ولكن على شكل رموز ثم استيعابها بمرور الزمن على اساس ظاهرها الحرفي.[3]

ب/ الأسطورة وأشكال التخيل الأخرى :

---

[1]- نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، ص 13 .

[2]- جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، ص77 .

[3]- نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، ص 14 .

تعد الاسطورة المغامرة الابداعية الاولى للمخيلة البشرية، وما لبثت هذه المخيلة أن ابتكرت مغامرات جديدة، عبر كل منها عن الشرط التاريخي لعصره من جهة، وعن محاولات الانسان الدؤوبة لتملك واقعة تملكا معرفيا وجماليا من جهة ثانية، واذا كانت تلك المغامرات اشكالا تعبيرية اتسمت بالجدة تماما، فإنها في الوقت نفسه، لم تنتج قطيعة مع الاسطورة، اذ تضمنت في داخلها الكثير من خصائص التفكير والتركيب الاسطوريين، كما جاءت استكمالا لفعاليات التخيل التي ابدعها الانسان ...، ويمكن صوغ تلك المغامرات في نسقين ابداعيين اساسيين : وينتمي الاول إلى حقل الأدب ، كالشعر، والملحمة، والمسرحية، والرواية،...ويرتبط الثاني بما هو شفاهي، كالحكاية الشعبية، والخرافية، والبطولية، والطوطمية، والخوارق،...[1].

1- الأسطورة والأنواع الأدبية :

ترتبط الأسطورة ارتباطا وثيقا بالأدب، فكلمة Mythos بالإنجليزية، ومثيلاتها في اللغات اللاتينية، مشتقة من الأصل اليوناني Muthos وتعني قصةأو حكاية، وكان الفيلسوف " أفلاطون " أو ل من استعمل تعبيرMuthologia،وعنى به فن رواية القصص، وبشكل خاص تلك القصص التي ندعوها اليوم بالأساطير .

وتتجلى العلاقة بين الأسطورة والأدب على نحو اشد وضوحا من خلال الأنواع الأدب ية التي يمكن عدها حلقات متصلة في سلسلة النشاط الابداعي للفكر البشري، ولا سيما " الشعر " الذي يمثل الحاضن الأدب ي الاول الاسطورة...ولعل من ابرز الصلات التي تقيمها الاسطورة مع الشعرأو التي يقيمها الثاني مع الأولى هو أن لكليهما جوهرا واحدا على مستويي اللغة والاداء[2].

---

[1]- المرجع السابق، ص 15 .

[2]- المرجع نفسه، ص 16 .

وعلى النحو نفسه تتجلى علاقة الاسطورة بـــــــــ " الملحمة "، التي تعرف بأنها " قصة مكتوبة شعرا ...تتناول الآلهة، خلقها وصراعها، كما تتناول سيرة بطل (ملحمي) ومغامراته، ثم بالمسرح الذي نشأ في احضان عبادة الآلهة الاسطوريين، ولا سيما علاقتها بـــــــــ " المأساة " التي اعطت الاسطورة صوتها، ومنحتها الاسطورة قوتها، واخيرا " الرواية " ...، والتي تمثل فكرة " الاحدوثة " « Episode » المميزة للأساطير بعامة دورا حاسما في تشكيلها، بوصفها وسيلة تعتبر جديد تضاف إلى ما سبقها من وسائل التعبير الدالة على خصوبة المخيلة البشرية وتراثها[1].

2- الاسطورة والحكاية :

تتداخل الاسطورة مع اشكال حكاية اخرى عدة : الحكاية الشعبية، والحكاية الخرافية، والحكاية البطولية، والحكاية الطوطمية...فالأولى " حطام أساطير أو بقايا أو اشلاؤها المتأخرة، أو تحتفظ بالكثير من خصائصها، وفي الحكاية الخرافية " موروثات باقية من الاساطير ايضا، وفي الثالثة مظاهر اسطورية ...الخ[2].

فثمة صلات تقيمها تلك الأشكال الحكائية مع الأسطورة، وان من أكثر تلك الصلات بروزا هو أن ها تشترك جميعا في كونها حفريات للذاكرة الجمعية وفي أن ها نتاج لمخيلة واحدة تهدف إلى البحث عن إجابات لأسئلة الواقع حولها، وأخيرا في كونها تشكل، معا مصدرا من مصادر الابداع الإنساني أو وسيلة للتعبير عن رحلة طموح ...، أن الاسطورة ليست اختراقا للمألوف فحسب، بل هي بناء أيضا، بمعنى أنها شكل أدبي له سماته المميزة من الأنواع الأدبية الأخرى[3].

---

[1]- المرجع السابق، ص 16 .

- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، ص 16 – 17 .

وتتمثل " اشكال النزوع الاسطوري " الذي يستلهمه الأدباء في ثلاثة أشكال هي : " الحدث الاسطوري، اي الاتكاء على اسطورة بعينها وما تحيل إليه من المنجز الذي أبدعته المخيلة، وثان ينزع إلى استلهام رمزا أو اكثر من الرموز الاسطورية (كالآلهة والشخصيات)، وثالث ينزع إلى استلهام البناء الاسطوري[1].

وقد ارتبطت الأساطير في الأصل بالجانب الديني، وقد اقتصرت على هذا الجانب في الكتابات القديمة، حيث كانت تربط كل المظاهر والظواهر بالآلهة، غيرأن كتابنا المعاصرين عمدوا إلى نقل الاسطورة من دينية إلى ادبية، مع بعض الاضافات الدلالية[2].

إذن كما أشرنا في السابق بأن الاسطورة تحتل حيزا كبيرا ومهما في تاريخ الحضارات الانسانية، فما من شعب من الشعوب، ولا أمة من الامم الا ولها اساطيرها الخاصة بها، وهي مكونة ومبنية من تاريخ وحضارة وفكر وابداع وفن.

فهي حكاية مستوحاة من أحداث تاريخية تحكي عن الآلهة،أو الأبطال، أو أجداد، أو سيرة...يستلهمها الأدباء في منجزاتهم، فهي وعاء شامل فسر فيه البدائي وجوده.

3- بواعث ودوافع توظيف التراث :

لم يظهر تيار التوجه إلى توظيف التراث عبثا هكذا، وبلا مقدمات " بل وقفت وراء وجوده بواعث كثيرة وإذا كان من السهولةمعرفة الدوافع والأسباب التي تؤدي إلى نشوء الظواهر العلمية، فان الامر الذي يبدو في غاية الصعوبة حين يتم البحث في الإبداع الأدبي، ولذا ارتأيناأن نتحدث عن البواعث الرئيسية ...، ويمكن أن تقسم

1- المرجع نفسه، ص 112 – 113 .

2- جعفر يايوش،الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، ص 77 .

البواعث الرئيسية أو العامة إلى[1]مجموعة من العوامل هي: (الفنية، والثقافية، والسياسية والاجتماعية، والقومية، والنفسية) .

3-1- العامل الفني :

وينحصر هذا العامل الفني في مقومين اساسين هما:

أولا : غنى التراث وثرائه بالإمكانيات الفنية والمعطيات والنماذج وكل معطى من معطيات التراث يرتبط دائما في وجدان الأمة بقيم روحية وفكرية ووجدانية معينة، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاك من معطيات التراث لإثارة كل الايحاءات والدلالات التي ارتبطت في وجدان السامع تلقائيا[2].

والعودة إلى التراث الفني لا تتأتى إلا من خلال الاهتمام بالنصوص الكثيرة المعبرة عن الفرح والحزن والزواج والانتصار وهذه العودة الفنية لا تقوم على اساس المتابعة والتقليد ولا تدعوا إلى المقاطعة والاهمال أن ما استثمار التراث في نتاجاته الأدبية[3].

أما العامل الثاني فيتمثل في: "اضفاء نوع من الموضوعية والدراما" [4]، على الأعمال الأدبية .

3-2- العامل الثقافي :

والذي يتكون من جانبين مهمين هما :

أ/ تأثير حركة إحياء التراث، والدور الذي يقوم به رواد هذه الحركة في كشف كنوز التراث وتجلياتها، وتوجيه الانظار إلى ما فيها من قيم فكرية وروحية وفنية صالحة

1- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، ص 12 .

2- على عشرى زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 16 .

3- فريدة سويزف،(توظيف التراث في شعر عبد الصبور)، مجلة عود الند (المجلة الثقافية الشهرية)، العدد104، الجزائر، د ت، ص 2 .

4- علي عشرا زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 20 .

للبقاء والاستمرار[1].وقد مر هذا الجانب بمرحلتين مهمتين هما: مرحلة تخزين وتسجيل التراث، ومرحلة التعبير عن هذا التراث؛أي توظيفه فنيا والتعبير به في التجارب والإبداعات الأدبية والفنية سواء كانت هذه التجارب شعرية أو نثرية منها .

ب/ أما الجانب الثاني فهو التأثر بالاتجاهات الداعية إلى الارتباط بالمورث في الآداب الاخرى العالمية (الانسانية) بفتح الباب لها، أي الثقافات الأجنبية الوافدة لأي ثقافة امة ما والاخذ من ثقافاتها المتنوعة التي تسير ومتطلبات العصر.

3-3- العامل السياسي والاجتماعي :

لقد كان للظروف السياسية والاجتماعية اثر ووقع على الكاتب والمثقف، حيث جعلت الكتاب والادباء يلجؤون إلى التراث واحداثه وشخصياته يبعثون من خلاله رسائلهم وأفكارهم ومشاغلهم .

وعندما يشتد الطغيان والقهر السياسي والاجتماعي في امة من الامم في عصر من العصور، فيكبل حريات الشعب، ويفرض على اصحاب الكلمة من شعراء وكتاب ومفكرين ستارا رهيبا من الصمت بقوة الحديد والنار، أو بقوة النبذ الاجتماعي – اذا كانت القوى المسيطرة قوى اجتماعية وليست سياسية – فان اصحاب الكلمة يلجؤون إلى وسائلهم وادواتهم الفنية الخاصة التي يستطيعون بواسطتها أن يعبروا عن آرائهم وافكارهم بطريقة فنية غير مباشرة، ولا تعرضهم لبطش السلطة الغاشمة التي غالبا ما تكون آراء هؤلاء وافكارهم مقاومة لها، وانتقادا لطغيانها، ومن الاساليب التي لجأ اليها اصحاب الكلمة على مدى العصور : الاسطورة، والرمز، وسوق افكارهم وآرائهم على لسان الحيوان، وغير ذلك من التكتيكات الفنية التي تكون – بالإضافة إلى ما تضفيه

---

[1]- المرجع نفسه، ص 25 .

على العمل الأدب ي من قيمة فنية – ستار يحتمي به أصحاب الكلمة ويحتجون وراءه من تنكيل السلطة بهم، ومن مواجهتها مباشرة بآرائهم فيها[1].

وقد استعانوا في أعمالهم بأصوات وشخصيات كانت لها دور في الثورة ضد الظلم، والتمرد على الواقع الفاسد، كما وظفوا شخصيات أخرى تمثل التضحية لأصحاب الرأي وتصوير ما يتحملونه من مشاق وعذاب ومتاعب وآلام من أجل تحقيق دعواتهم وأهدافهم.فالتراث هو الطريق الأكثرأمانا لبث الرؤى والأفكار التي يعبر بها الكاتب عن واقعه وواقع امته الاجتماعي والسياسي المتغير والثابت بغية تحقيق الاستقرار والقفز إلى حضارة منشودة.

3-4- العامل القومي :

حين تتعرض امة من الامم لخطر داهم يهدد كيانها القومي فإنها لا تلبثأن ترتد تلقائيا بحركة رد الفعل إلى جذورها القومية، تتشبث بها في استماتة لتؤكد كيانها في وجه هذا الخطر الداهم، والتراث واحد من تلك الجذور القومية التي ترتكز عليها كل امة في مواجهة اية رياح تحاول أن تعصف بوجودها القومي، فتمنحها احسانا قويا بشخصيتها القومية، ويقينا بأصالتها وعراقتها[2].

وكمثال لهذا العمال نذكر الاساءة التي تعرضت لها الامة العربية عامة والاسلامية خاصة من طرف دولة غربية " الدنمارك " في إساءتها للرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالرسومات الكاريكاتورية، والتي ادت إلى ثورة المسلمين كافة وفي مختلف الامم على غرار الامة العربية ضد هذا العمل المسيء، حيث نلاحظ هنا القومية مرتبطة بالتراث الديني، والمتمثل في الدين الاسلامي.

1- المرجع السابق، ص 32 – 33 .

2- المرجع السابق، ص 39 .

3-5- العامل النفسي :

تمثل العوامل النفسية هي الاخرى باعثا ودافعا قويا في توظيف التراث في الأعمال الأدبية التي استعملها المثقفون بكل براعة وفنية، وقد تنوعت منابع هذا العامل والرافد من بواعث اجتماعية وسياسية واخلاقية كانحلال قيم الخير والفضيلة داخل المجتمعات بين الافراد، وانتشار الظلم والفساد من قبل الحكم الفاسد للبلاد والسلطة فيها، مما جعل المثقف الواعي يحس بانه داخل عالم صار فيه الظلم والتسلط قوة، وقيم الخير من تسامح ومحبة وتشاور واخوة صار ضعفا وتخلفا، فصار الانسان بصفة عامة والاديب المثقف بصفة خاصة يحس بانه في عالم غريب ووطن مزيف بعيد عن الحياة البسيطة العفوية التي تنبض بروح الحياة .

فكان هذا الاحساس المزدوج بالغربة وبجفاف الحياة المعاصرة ونمطيتها وتعقيدها يدفعه إلى الهرب من هذا الواقع ونشدان عالم آخر أكثر نضارة وبكارة، واكثر سذاجة وعفوية في نفس الوقت، وكان ينشد هذا العالم بين احضان التراث، وخصوصا التراث الاسطوري بالذات حيث " يعيش سذاجة الاحلام الاسطورية وعفويتها، حيث ذلك الحس الحي النشط الذي يكتشف في إحساسه بأشد الأشياءالعادية جوانب خفية جديدة...وحيث التجربة ترفضأن تسجن نفسها داخل نظام مغلق من القواعد والمعاني المجردة "[1] .

فالجانب النفسي يعد منطلقا من منطلقات العمل الابداعي والذي يعد مصدرا الهام للتعبير عن مختلجات النفس، والمكتوبات الداخلية الوجدانية.

4- الموقف من التراث :

1- المرجع السابق، ص 42 .

تشير جميع القرائن إلى أن قضية " التراث " ستضل احد هواجسنا الرئيسية في السنوات المقبلة في هذا القرن، والى أنها إن لم توضع بعد ذلك وضعا صحيحا، قد تصبح مصدر قلق مقيم وحيرة دائمة للأجيال التي ستتحدر من أصلابنا.(1)

ونستطيع القول بان للتراث ثلاث مواقف:

الأول " موقف محافظ ومتزمت في محافظته ورجوعيته "، وموقف ثان " رافض للتراث جملة وتفصيلا(2)متشائم في نظرته "، كوزمو بوليتي في اتجاهه "، وموقف ثالث " أن تقائي، يأخذ من التراث ما يخدم ايديولوجيته ويسند نظريته، ويهمل ما سوى ذلك بحجة أن ه غير عصراني، أو لا ينطوي على قيم اخلاقية حضارية، وبعدما يكون الموقفان الاولان طفوليين وعدائيين يكن الموقف الثالث اكثر اقترابا من التراث، رغم ما ينطوي عليه احيانا من قصر للنصوص واحادية في الاخذ والتفسير والرؤية(3).

فللتراث أن صار كثيرون لا يحصون عدا، وله من ابناء صناعه وحفدتهم خصوم(4)يدعون إلى مقاطعة التراث كليا أو جزئيا، فهؤلاء قد وجدوا وقد يكونون موجودين بيننا في وقتنا الراهن، ومع ذلك فان هؤلاء – في تقديري – غير بعيدين عن طائلة التراث، اذ يستوي – من وجهة نظري – هؤلاء القابلون للتراث واولئك الرافضون له في الخضوع له والصدور – عنه بحيث لا يعدوا الخلاف بين الفريقين أن يكون شكليا، هنا قد يتوجه السؤال عن الرافضين للتراث وكيف يوصفون بالصدور عنه ؟ والجواب: أنك لا ترفض شيئا الا بعد معرفته ثم أنك حين ترفضه من جهة أو

1– فهمي جدعان، نظرية التراث، ص 13 .

2– طراد الكبيسي، التراث العربي " الموسوعة الصغيرة، ص 8 .

3– المرجع نفسه، ص 9 .

4– شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، د ط، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 64 .

جهات معينة، ووفقا لجهات الرفض يكون اتجاه الفعل، وبالتالي يكون من السهل معرفة طبيعة العنصر الفاصل وراء الرفض وهو التراث.[1].

من خصوم التراث يقولون مالنا ولتراث الآباء والاجداد ننفض عنه غبار اجداثه ونعيده إلى الحياة، وهو غير صالح لكي يتنفس فيها، إذاأصبحنا نعيش حياة جديدة تخالف حياة الاسلاف في الحضارة والمدينة والاقتصاد، واستغلال الطبيعة، وماذا يفيد عصرنا عصر الذرة وما تشتمل عليه من الكترونات وعصر اختراق الفضاء وما يدور فيه من اقمار صناعية من تعرف على التراث، وكل ما يحمل من علم أن هارت قواعده وخرت اركانه، ولم تعد في حاجة اليه ولا إلى مادته[2].

وفي رأيهم أن التعلق بالتراث أن ما هو تعلق بفراغ لا يفيدنا أي فائدة في حياتنا العصرية، ومن الخير أن تقوم بيننا وبينه سدود صفيقة، وحتى لا يشغلنا عن حاضرنا الذي نعيشه، وحتى لا نلم به اي المام قد يعوقنا عن الحركة في حياتنا، وإن واجبنا أن لا ننضر فيه ولا نعتد به أية اعتداد، بل لنهمله إهمالا، ولندعه كما هو في ظلماء، فلا نحييه ولا نخرجه إلى النور حتى تنقطع كل علاقة لنا به، وحتى نفصل عنه أن فصالا كليا [3].

ويقول خصوم التراث: دعونا من هذا الكلام وما يجري مجراه، فنحن في عصرنا لا يعتد الا بالعلم الطبيعي ومكتشفاته في الضوء والصوت والذرة وما إلى ذلك، وحدثونا ماذا يفيدنا التراث في هذا العلم وتطبيقاته ؟ أن ه لا يفيدنا شيئا ذا بال، وإذن فما أجدرنا

– محمد عبد الله الهادي، التراث بين القطيعة والتواصل، د ط، دار نشري للنشر الالكتروني، دب، 2005، ص 7 .[1]

[2]– شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، ص 64 .

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

أن نغض أعيننا ونسد آذاننا عنه، وحتى من يلبسون ثيابه البالية منا يجب أن يخلعوها عن اجسادهم، ويلبسوا ثياب العلم العصري الجديدة[1].

وتهول خصوم التراث فيقولون عن الشروح والحواشي بانها في المتون...ولا ابتكار ولا اصالة بل صورة مكررة تدل على الجمود العقلي والتخلف الفكري وقد بلغ من تخلف الاسلاف وجهودهم – كما يقولون – كانوا يعدون قراءة المصنفات وكتابتها شيئا خطيرا، مما جعلهم ينصون في نهاية المصنفات – مفاخرين – بأنهمقرؤوها أو كتبوها، وكأنما أصبحت كتابة الكتب وقراءتها كل بضاعة علمائهم، وهي بضاعة تقوم على التلقي، ولا شيء سوى التلقي[2].

ويقولون: انظروا ماذا يجر التمسك بالتراث في مجال الشعر، لقد احدث الشباب ضربا جديدا من الشعر الحر غير المقيد بالقافية، فرفع اصحاب التراث امامهم تقاليد القصيدة العتيقة الموروثة، وقالوا لهم، إياكم والخروج على هذه التقاليد، فان ما يخرج عليها لا يسمى شعرا بل يسمى ضربا جديدا من ضروب النثر، وفي ذلك ما يصور بوضوح كيف يعوقنا التراث عن الحركة وكيف يعقد السنتنا عن التطور في مجال الشعر إلا أن نصوغه عن التقاليد البالية[3].

وللخصوم آراء كثيرة في شتى الميادين زيادة على المجال الأدب ي منها في قضية معارضة التراث .

أماعن أنصار التراث فيقول " عبثا نقول لهؤلاء الخصوم هل نحن الا ثمار الاسلاف وابناؤهم ؟ ...وهل حياتنا الا امتدادا لحياتهم؟ وهل امة من الأمم المتحضرة إلا وتعنى بتراثها لتقف وقوفا بينا على دورها الحضاري في تاريخ الإنسانية، وأن من واجبناأن

---

[1]– المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

[2]– المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

نعرف لامتنا وتلك الأمم الحية لا تعني بتراثها وحده، بل تمتد عنايتها إلى تراث الامم القريبة منها والبعيدة، لتعرف موقعها من تاريخ الحضارة الإنسانية،..."[1] .

تتعدد مواقف شوقي وتكثر توجهاته إلى الموروث داعيا إلى احيائه، وحتمية مراجعته، والاحتماء به، واللجوء اليه،[2] يقول الدكتور شوقي ضيف" أن ادعوا إلى التمسك بالتراث، بحيث نبعثه ونحييه وننشره في خير صورة علمية محققه، وفي الوقت نفسه نحاول عرضه عرضا عصريا، لكي ينتفع به ابناؤنا على خير وجه، ليس ذلك فحسب، بل نستغله ونستلهمه في تطورنا، بحيث يكون حافزا لنا اي حافز على التطور بأدبنا وبحياتنا العقلية والفكرية، والخطأ كل الخطأ أن يضن ظان أن تمسكنا بالتراث يلغي عصريتنا، أنه يوقفنا على معرفة مقاماتنا الثابتة، وهي معرفة من شأنها أن تؤكد وجودنا وان تجعلنا ننهض بدورنا الحضاري في هذا العصر الذي نعيشه نهوضا سديدا، وامامنا الامم المتحضرة العصرية جميعها تعنىأشد العناية بتراثها، وما كان لنكون بدعا في تلك الامم، بل سنظل منها حريصين على ميراثنا من اسلافنا، وسنورثه ابناءنا..."[3].

يقول الدكتور محمد عابد الجابري: " أن قضية التراث تطرح عادة طرحا مضاعف الخطأ ك فمن جهة يتضمن الطرح اتخاذ موقف من التراث ككل بصورة قبلية، ومن جهة ثانية تغفل فيه عند طرحه ...من الناحية المبدئية لا يمكن تبني التراث ككل لأنه ينتمي إلى الماضي ولان العناصر المقومة للماضي لا توجد كلها في الحاضر، وليس من الضروري حضورها في المستقبل هو نفس حضورها في

---

[1]– شوقي ضيف،في التراث والشعر واللغة، ص64 .

[2]– عبد الله التطاوي، التراث والمعارضة عند أحمد شوقي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت، ص 39.

[3]– شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، ص 80 .

الحاضر، وبالمثل لا يمكن رفض التراث ككل للسبب نفسه، فهو شئنا أم كرهنا، مقوم أساسي من مقومات الحاضر، وتغير الحاضر لا يعني[1]البداية من الصفر.

ولا شكأن في تراث الأمم جميعا، ما هو حضاري وانساني وما هو غير ذلك يعكس قيم عصور سادت فيها صراعات، وتحكمت فيها طبقات لم تكن مصلحتها لتتفق ومصلحة جماهير الأمة وفقرائها [2] .

5- التراث والتجديد والمعاصرة :

ماذا يعني " التراث والتجديد؟ "...ليست القضية هي تجديد " التراث " أو " التراث والتجديد " لأن البداية هي " التراث " وليس " التجديد " من أجل المحافظة على الاستقرار في الثقافة الوطنية، وتأصيل الحاضر، ودفعه نحو التقدم، والمشاركة في التغير الاجتماعي التراث هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية، والتجديد هو اعادة تفسير التراث طبقا لحاجات العصر، فالقديم يسبق الجديد، والاصالة اساس المعاصرة، والوسيلة تؤدي إلى الغاية، التراث هو الوسيلة، والتجديد وهي المساهمة في تطوير الواقع، وحل مشكلاته، والقضاء على اسباب معوقاته، وفتح مغاليقه التي تمنع اي محاولة لتطويره[3].

والتراث ليس قيمة في ذاته الا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره، فهو ليس متحفا للأفكار نفخر بها وننظر اليها بإعجاب، امامها في أن بهار ندعو العالم نعنا للمشاهدة والسياحة الفكرية، بل هو نظرية للعمل وموجه للسلوك، وذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان وعلاقته بالأرض وهما حجرا العثرة اللتان تتحطم عليها كل جهود البلاد النامية في التطوير والتنمية[4].

---

[1]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص 37 .

[2]- طراد الكبيسي، التراث العربي، ص 9 .

[3]- حسين حنفي، التراث والتجديد، ص 13 .

- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، ص 13 .[4]

ليس التراث مجموعة من العقائد النظرية الثابتة والحقائق الدائمة التي لا تتغير بل هو مجموع تحققات هذه النظرية في ظرف معين، وفي موقف تاريخي محرر، وعند جماعة خاصة تضع رؤيتها، وتكون تصوراتها للعالم[1].

التراث اذن مازال قيمة حية في وجدان العصر يمكن أن يؤثر فيه، ويكون باعثا على السلوك، تجديد التراث اذن ضرورة واقعية، ورؤية صائبة للواقع، فالتراث جزء من مكونات الواقع وليس دفاعا عن موروث قديم – التراث حي يفعل في الناس ويوجه سلوكهم، وبالتالي يكون تجديد التراث هو وصف لسلوك الجماهير وتغييره لصالح قضية التغير الاجتماعي، تجديد التراث هو اطلاق لطاقات مخزنة عند الجماهير بدلا من وجود التراث كطاقة مختزنة، لا تستعمل أو تصرف بطرق غير سوية على دفعات عشوائية في سلوك قائم على التعصب أو الجهل أوالحمية الدينية والإيمانالأعمى، أو يستعملها أنصار تثبيت الأوضاع القائمة بحسابهم الخاص من اجل الدفاع عن الثبات الاجتماعي [2] .ولقد لجأ الثوار المعاصرون إلى المأثورات الشعبية والى تراث الجماعة الممثل في امثلتها العامية ودياناتها القديمة من اجل تجنيد الجماهير وصب طاقاتها في واقعها المعاصر[3].

والتراث والتجديد يعبران عن موقف طبيعي للغاية، فالماضي والحاضر كلاهما معاشان في الشعور، ووصف الشعور هو في نفس الوقت وصف للمخزون النفسي المتراكم من الموروث في تفاعله مع الواقع الحاضر، اسقاطا من الماضيأو رؤية الحاضر[4].

فتحليل التراث هو في نفس الوقت تحليل لعقليتنا المعاصرة وبيان اسباب معوقاتها، وتحليل عقليتها المعاصرة هو في نفس الوقت تحليل للتراث لما كان التراث القديم

---

[1]– المرجع السابق، ص 15 .

[2]– المرجع نفسه، ص 19 .

[3]– المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[4]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مكونا رئيسيا في عقليتنا المعاصرة ومن ثم يسهل علينا رؤية الحاضر في الماضي، ورؤية الماضي في الحاضر فالتراث والتجديد يؤسسان معا علما جديدا وهو وصف للحاضر وكأنه ماض يتحرك، ووصف الماضي على أنه حاضر معاش...فالحديث عن القديم يمكن في رؤية العصر فيه، وكلما أو غل الباحث في القديم وفك رموزه، وحل طلاسمه، امكن رؤية العصر، والقضاء على المعوقات في القديم إلى الابد، وابراز مواطن القوة والاصالة لتأسيس نهضتنا المعاصرة، ولما كان التراث يشير إلى الماضي والتجديد يشير إلى الحاضر فان قضية التراث والتجديد هي قضية التجانس في الزمان، وربط الماضي بالحاضر وايحاء وحدة التاريخ[1].

6- اهمية التراث :

يمثل التراث "على اختلاف أن واعه واشكاله مبعث فخر للأمم واعتزازها، فهو بما يحمله من قيم ومعان دليل العراقة والاصالة، والمعبر عن الهوية الوطنية، حيث يتصل بشخصية الامة ويعطيها الطابع المميز ويعبر عما تتمتع به من حيوية وقدرة المواجهة والتحري، كما يحدد مستواها في الذوق والحس الابداعي ودرجة تقدمها في العلوم والفنون، ويمثل التراث صلة بين ماضي الامم وحاضرها ويسهم في صياغة مستقبلها ويعتبر ركيزة اساسية في اقتصاد العديد من الدول – ومما لا شك فيه أن التراث يمثل بمفهومه الواسع الذاكرة الحية للفرد والمجتمع التي بها يمكن معرفة هذا الفرد وهذا المجتمع ويتم التعرف على هويته وانتماءه إلى شعب من الشعوب وحضارة من الحضارات[2].

---

[1]- المرجع السابق، ص 19 – 20 .

[2]- أشرف صالح محمد سيد، البحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية، مؤسسة النور للثقافة والاعلام، دب، 2009، ص 3 – 5 .

والتراث حياة أمم وشعوب وأقوام ...ولغتهم وافكارهم وعقيدتهم وممارساتهم الحياتية ورؤاهم، وانجازاتهم وأعرافهم من عادات وتقاليد تصنع ما نطلق عليه الموروث، كذلك من الناحية العلمية يمكن القولأن التراث بصورة عامة هو ثروة وطنية ارثيه وعلم ثقافي قائم بذاته يختص بقطاع معين من الثقافة[1].

وقد أدركت دول كثيرة اهمية التراث الوطني في تعزيز روح الجماعة وتقوية أو أصل الصلات بين الشعوب والأمم.

وطنيته، وقوميته العربية وإنسانية، وعالميته وبأصل في عبقريته، وحسبه أن ه رأى في نفسه وبثقة وجلاء رؤية المستنهض الوطني والقومي، والداعية الانساني... وقصد لأول مرة في الأدب العربي الرسولية الانسانية، هذا أن لم يكن المتنبي تصور لنفسه هذه الرسولية، وقد استطاع جبران أن يكون واحدا من ابرز رواد النهضة العربية الحديثة وقادتها، واذا هو يصارع الفساد والجمهور والحروب والتخلف في اكثر من مجال أو على غير صعيد وهو يستمر هاجسا مخيفا لاقتطاعي السياسة والدين في لبنان وسائر الوطن العربي، وصوت حرية مدويا في كل مكان من العالم وهو يؤكد بذلك على أن الاديب هو ضمير امته وتحد مشاعل الانسانية.[2]

إذا أهمية التراث في المقام الأول بأنه هو الذي يعطي لشعب من الشعوب هويته التي تميزه عن الشعوب الأخرى، والتي بدورها تصنع هذا الشعب في مصاف الشعوب التاريخية التي لها تاريخ عريق تحتفي به، والاجمل هوأن يكون هذا التاريخ العريق قد اسهم في تطوير الشعوب الاخرى[3].

1- سعد العراقي، التراث وأهميته في حياة الأمم والشعوب، منتديات فرسان الثقافة يوم الاثنين، 12 افريل 2015، الساعة 10:00.

2- كاظم حطيط، اعلام ورواد فيالأدب العربي، ص 20.

3- محمد محمد، ماهية وأهمية التراث،(شبكة الانترنت)، الأحد، 12 افريل 2015، الساعة 20:23 .

أهمية التراث هي في مساهمته الكبيرة في تراكم المعرفة خاصة ما ورث من العلوم، فهذا الإرث هو إرث عظيم ليس لشعب من الشعوب فقط بل للإنسانية جمعاء، ايضا فان التراث هو المحدد الاول والاخير لثقافة شعب من الشعوب وهو مما يسهم وبشكل رئيسي في تكوين العقل الجمعي، ولكي يجدر التنبيه هنا إلى أن روح العصر قد لا تتحمل ولا تستوعب بعض ما يأتي في التراث، لهذا السبب فانه ينبغي أن يتم عرض التراث على العصر، فان توافق معه اخذ به وان لم يتوافق معه تم الاحتفاظ به في الذاكرة الشعبية[1].

أهمية التراث أيضا هو أن ه اساس الحضارة، فالحضارة والمدنية لا تعنيان إطلاقا أن التراث يعيق عجلة تقدمها، فالعديد من الامم تعد في الصفوف الاولى عالميا مع احتفاظها بتراثها الجميل، وهذه رسالة لمن يخجلون من تراثهم ويودون دثره ودفنه، فهذا الموقف من التراث بمثابة الانسلاخ من الجلد، وبمجرد أن ينسلخ الانسان من جلده فانه لن يكون قادرا على أن يرتدي جلدا آخر مما يسبب وفاته.

التراث يشكل وثيقة عهد بين الأجيال السابقة والأجيال الحالية والاجيال اللاحقة القادمة، وهمزة وصل بين الاجداد والآباء والأبناء والأحفاد، ويحافظ على الهوية التي تميزت وتتميز بهامة عن غيرها من الامم وتوثق الصلة بين الاجيال، وتمنح الاجيال اللاحقة الشواهد الحية التي تجعلهم قادرين على الاعتزاز بتراثهم وآثارهم وتاريخهم وما يحمله من مقومات وخصائص ومميزات.

---

[1]- المرجع السابق.

الفصل الثاني:
أنواع التراث الموظف في كتاب "النبي" لجبران خليل جبران

1_ التراث الديني.

2_ التراث الصوفي

3_ التراث الأدبي

ترك جبران خليل جبران للأمة العربية خاصته وللمكتبات العالمية عامة وإرثا غنيا ومتنوعا جدير بنا الأخذ من جمالياته والاستفادة من روائعه الفريدة.

كان يمثل الإنسان المكافح الثائر على التقاليد الاجتماعية الفاسدة والانحرافات والخرافات التي كانت في نظره شكل من أشكال العبودية التي تعرقل ارتقاء وتقدم الإنسان، كما كان يهدف إلى الارتقاء بالمجتمع والنهوض به وبمقوماته وحضارته وجبران خليل جبران ابن الطبيعة، وينطلق منها بتفاعل شديد وإبداع خلاق، حيث أصبحت جزءا لا يتجزأ منه تعينه في معظم إبداعاته.

ظهر جبران خليل جبران في عهد كان الشرق فيه ينتقل من طور الرجعية والعبودية والتقليد بكل قيد إلى طور الانفلات والتحرر والاستقلال .... ثم إنه اتصل بمدينة الغرب وانطلاقية الشعوب الأوروبية والأمريكية، ورأى أن في هذه الانطلاقية نفسها استعبادا للإنسان في قواه الجسدية والروحية، نظر جبران إلى الشرق فوجده يتململ، ونظر إلى لبنان فوجده يتحرك في قيوده السياسية والاجتماعية والخرافات والتقاليد البالية، ونظرا إلى العالم فوجده غير العالم الذي يتخيله، ووجده راسفا في قيود الشرائع والأحكام والمادية،فاضطربت نفسه واختلجت وثارت في عنف على أوضاع الناس أجمعين، وعلى أوضاع الشرق خاصة، ولم تكن تلك الثورة لمجرد الثروة، ولكنها كانت صادرة عن محبة عميقة للناس عامة وللشرقيين خاصة، ولاسيما اللبنانيين منهم لقد أراد وضعا أفضل وعالما أسمى وقد بلغت به المثالية هذه إلى حد بعيد، حتى وصلت الواقع باللاواقع.[1]

ثار جبران على الأوضاع الإقطاعية في بلاده، تلك الإقطاعية التي ظهرت في السياسة وفي المجتمع وفي الدين، فتناول التقاليد والسلطة وكل ما رآه شاذا أو توهم أنه كذلك، ثم انتقل إلى الناس أجمعين، ورأى الفساد في طرائق حياتهم، وأسس تصرفهم

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 234.

ومقاييس آرائهم، ورأى أن كل شيء فيهم عامل من عوامل عبوديتهم، وأنهم بعيدون عن الأجواء الحرة التي تسبح فيها النفوس والأجساد وتلتقي فيها القلوب حيث لا حاجة إلى الشرائع والطقوس والعادات وحيث لا ظلم ولا بغض ولا انتقام عن الأجواء التي تسيطر فيها المحبة الشاملة بقانونه ونظامها وطقوسها أي بحريتها المطلقة التي هي وحدها القانون والنظام والطقوس كما أثار .... على رجال الدين الذين يبيعون نفوسهم ليشتروا بأثمانها ما كان دون نفوسهم قدرا وشرفا..... [1].

كما يحمل زخما وكما فكريا معتبرا أعانه فيه إنسانيته وحبه للإنسانية والتي سكب كلماتها وألفاظها و شذراتها في كتبه وأشعاره حيث أضاف تجاربه الذاتية في الحياة، إلى الأفكار التي استقاها من عصره ثم أعاد صياغة هذه الأفكار ولونها بطابعه الشخصي المميز، واختار قالبا قصصيا أكثر منه شعريا ليقدم فيه خلاصة فكره أو أكثر ما يكون رقة ونداوة وأعمق ما يكون سحرا وتأثيرا، وأروع ما يكون صدقا وإخلاصا.

فغاص جبران في بحار عميقة التأمل والخيال، وأحب الناس أبناء الفطرة وأبناء الطبيعة فعكس صورة الطبيعة وعلاقتها بالإنسان، فبادله قراءه وجمهوره بالحب الذي قابلهم به.

ومواضيع جبران تكاد تنحصر في موضوعين اثنين هما: الجور والثورة على التقاليد البشرية فيما تحلله وتحرمه من علائق بين المرأة والرجل، وأخرى في تسلط وغطرسة الحكام ورجال الدين على الشعب والناس عامة.

وغير خاف على جمهور جبران بأنه واحد من بين اللذين عاشوا في ديار الغربة، هذه الأخيرة أجبرتهم على تعلم لغات بلدانها وكتابة وإنتاج أدبهم بها. حيث نال جبران شهرة واسعة وكبيرة لا يستهان بها في حقول الآداب الأجنبية والانجليزية خاصة، كما أثرى آدابها الجديدة.

---

[1]-المرجع السابق، ص 235.

ومن بين مؤلفاته الانجليزية ذات الشهرة العالمية كتاب النبي THE PROPHET وهو مادة موضوع دراستنا.

يعد كتاب النبي من أروع روائع جبران وأشهر كتبه على الإطلاق، أعيد طبعه عشرات المرات وترجم إلى أربعين لغة أو ما تزيد عنها، وله في اللغة العربية أكثر من ثلاث ترجمات.

مهد "السابق"* لكتاب "النبي"، وقد كان آخر ما قاله السابق: ستبعث من رمادنا محبته أقوى من محبتنا، وستضحك في نور الشمس، وستكون خالدة، كان في نية جبران أن يكوّن ثلاثية النبي، حديقة "النبي" وموت النبي ظهر الكتاب الثاني بعد وفاة جبران، وفيه مقطوعات وترجمات من عربيات جبران كتب بقلم غير قلمه أما الكتاب الثالث فلم يصلنا منه إلا جملة واحدة أما شهرة النبي فمردها إلى مضمون الكتاب وأسلوبه، فالمضمون اجتماعي مثالي وتأملي فلسفي معا، لا تثقله قيود المنطق، ويحببه إلى القارئ أسلوبه الشعري الصافي، فضلا عن أن جبران قد رفع أحط الأعمال اليومية إلى مستوى السمو الصوفي حين أضفي على كل الأكل والشرب والبيوت والملابس والأعمال كلها حلة روحية رفيعة.[2]

يمثل كتاب "النبي" المرحلة الثالثة من مراحل الأدب الجبراني بعد المرحلة الأولى مرحلة الألم الاجتماعي التي تضم مجموعة من القصص (عرائس المروج، الأرواح المتمردة، الأجنحة المكسرة....) والمرحلة الثانية التي تأثر فيها جبران بزرادشتنيتشه، فبعد هذه المرحلة الثورية الناقمة على البشر، أخذ جبران ينظر إلى الحياة والوجود والعباد بنظرة مختلفة، تحمل نظرة حكيم يريد بناء مجتمع مثالي عن طريق معرفته

---

*كتاب ألفه جبران باللغة الانجليزية سنة 1920، يظم أربعا وعشرين حكاية رمزية وقصيدة نثرية، يغلب عليه الإيمان بالتقمص وبوحدة الوجود.

[2]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 21.

للحياة بالتأمل فجاء بالنبي وجعله سلسلة مقالات في شكل قصة تبدأ بذكر نبي مختار اسمه المصطفى انتظر اثني عشر سنة في مدينته أورفليس مترقبا عودة سفينته إلى المدينة لكي يركبها عائدا إلى الجزيرة التي ولد فيها.[1]،و تجمع السكان لتوديعه وطلبوا منه أن يعطيهم من بعض حكمته.[2]

يتكون الكتاب من ستة وعشرون فصلا عبارة عن مواضيع حياتية تنحصر ما بين الولادة والموت تتضمن (المصطفى، المطرة، الحب، الزواج، الأبناء، العطاء، الغذاء، الثياب، المساكن، العقل والهوى، اللذة، الجمال، الحزن والفرح، الألم، الكلام، التعليم، مع0رفة النفس، الصداقة، الزمان، الدين، الصلاة، الخير والشر، العمل، البيع والشراء، الحرية، القانون، الجريمة والعقاب، الوداع، الموت) متناولا كل هذه المواضيع من جهة المثالية رغبة منه لتعليم الناس مثلا أعلى.

احتفظ جبران لنفسه بشيء من الاستعلاء على الناس، فيصور لنفسه وللناس في النبي أنه معلم يطل على الدنيا كلها، مبشرا وداعيا إلى الطريق السوي، الذي لا طريق سواه، لقد بدأ ثائرا ثم انتهي مستعليا على الدنيا جميعها، كأنما كان النذير للناس بما هم فيه م0ن باطل، وبما ينبغي أن يكونوا عليه من حق ولكن روح الشاعر والفنان في جبران ثارت حتى على ما في نفسه من غرور وادعاء، ويروي صديق عمره ميخائيل نعيمة الأديب المفكر الذي أرخ لجبران أنهما كانا يوما سائرين في قلب الطبيعة فاتنة تبدت روعتها في وضوحها، فلم تدار أسرارها عن العيون والأبصار وبينما هما مأخوذان بما حولهما من فتنة وجلاء، إذ جبران يتوقف فجأة وينادي صديقه وكان أقرب ما يكون إلى نفسه وإلى ضعفه أيضا قال إ"ني نذير زائف يا ميشا" هكذا كان يناديه، وكان جبران أيامها يختزن في نفسه كتاب النبي وما يحوي هذا الكتاب من مادة، وكأنما

---

[1]-حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 232.

[2]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 21_ 22.

استعاد ما يختزنه وينوي أن يقدمه للناس، فاستكثر أن يحمل هذه الرسالة الضخمة إلى العالم، وأن يجعل من نفسه معلما يصحح الأخطاء ويمهد طريق المعرفة، فثار على نفسه وعلى غروره وهو أعلم بما يعتبره من ضعف كشف فيه عن حقيقة نفسه بشجاعة، بعد أن هاله أن يعيش في تناقض ضخم بين خطايا هو تعاليمه التي ينوي أن يطلع بها الناس، وكان اعترافه لصديق عمره أمام طبيعة نقية طاهرة لا تعرف النفاق فلما سكنت نفسه، عاد إلى ما كان عليه من إقدام فأخرج كتاب النبي.(1)

يمثل كتاب "النبي" لجبران بفصاحته المعدودة، وتعابيره الرائعة وصوره المكتملة بذور من الإيمان يسير سبيله ويوجه خطاه ويلهمه الاستقرار الروحي فهو يرسم لنا معالم حياته بين دفتي كتابه حيث اكتملت تجاربه كلها فيه مع عواطفه وميولا ته وأرائه ونظرياته.

إذا كانت هذه مقدمة بسيطة حول كتاب النبي الرائعة النثرية الجبرانية، التي كانت تتخللها بعض السمات الشعرية، فما يهمنا في موضوع بحثنا هذا هو الوصول قدر المستطاع إلى أنواع التراث الذي وظفه جبران في كتابه هذا وإبراز الأنواع الأكثر تجليا فيه.

عندما نستعمل لفظة توظيف تتبادر لدى أذهان البعض مجموعة من المصطلحات المتشكلة في هذا النحو ونحن بصدد الدراسة، تستدعي بعضها البعض وتتداعى في الأذهان كأنها مترادفات، كالإقتباسوالتناص والتضمين ... الخ، لان التوظيف بالضرورة يستعين بهذه المصطلحات وما تحمله من معاني ونظن بأن التناص هو الذي له نصيب الأكبر في هذه الكلمة، حيث يحتوي على ثلاث أنواع وقوانين هي:

1_ الاجترار:

---

(1) جبران خليل جبران، النبي ثورة عكاشة، ص 23 _ 24.

هو التكرار للنص الغائب من دون تغيير أو تحوير، وهذا القانون يسهم في مسخ النص الغائب لأنه لم يطوره ولم يحاوره، واكتفي بإعادته كما هو أومع إجراء تغيير طفيف لا يمس جوهره بسوء بسبب من نظرة التقديس والاحترام لبعض النصوص والمرجعيات لاسيما الدينية والأسطورية منها من جهة ومن جهة أخرى فقد يعود الأمر إلى ضعف المقدرة الفنية والإبداعية لدى الذات المبدعة في تجاوزه النصوص شكلا ومضمونا، إذ تبقى النصوص الجديدة أسيرة لتلك النصوص السابقة.[1]

2_ الامتصاص:

إن الامتصاص مرحلة أعلى في قراءة النص الغائب وهذا القانون الذي ينطلق أساسا من الإقرار بأهمية هذا النص وقداسته فيتعامل وإياه تعاملا حركيا تحويليا لا ينفي الأصل، بل يسهم في استمراره جوهرا قابلا للتجديد؛ ومعنى هذا أن الامتصاص لا يمجد النص الغائب و لا ينقده أنه يعيد صوغه فحسب على وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها وبذلك يستمر النص غائبا غير ممحو بدل أن يموت.[2]

3_ الحوار:

أما الحوار فهو أعلى مرحلة في قراءة النص الغائب إذ يعتمد النص المؤسس على أرضية علمية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب، مهما كان شكله وحجمه فلا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل هذا النص وإنما يغير في القديم أسسه اللاهوتية ويعرى في الحديث قناعاته التبريرية والمثالية وبذلك يكون الحوار قراءة نقدية لا علاقة لها بالنقد مفهوما عقلانيا خالصا أو نزعة فوضوية عدمية، فالحوار تغيير للنص الغائب وقلبه وتحويله بقصد قناعة راسخة في عدم

---

[1]–أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ط 01، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2007، ص 50.

[2]–المرجع نفسه، ص 54.

محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود لذي قد يغلف الأشكال والتيمات والكتابة في الجديد وتناسي الاعتبارات الدينية والعرفية والأخلاقية والخوض في المسكوت عنه لضرورة الأدب لمثل هذه الحالة الصحية في الإبداع والانفتاح نحو فضاءات نصية جديدة.... والحوار أو القلب أو العكس (INTERRERSLON) أو التناص العكسي، وهو الصيغة الأكثر شيوعا في التناصوخصوصا في المحاكاة الساخرة لما فيه من عمل التضاد يذهب عكس الخطابات الأصلية المستدخلة في علاقة تناصية .... (1)

يتضح لنا من خلال ما سبق ذكره بأن جبران خليل جبران كان بعيدا كل البعد عن النوع الأول، وتجسد كل من النوع الثاني والثالث غالبا في عمله هذا، ومن هنا يمكننا تحديد أنواع التراث الذي وظفه في كتابه (النبي).

1_ التراث الديني:

الحرية الدينية هي الأساس الأول والرئيسي الذي قام عليه الأدب المهجري وركن من أهم الأركان التي جعلته ينال التقدير والإعجاب ويمتلك مكانة بارزة في الأدب العربي الحديث، كان المهجريون يؤمنون بالله ويدعون إلى الإيمان به، وكما أشرنا سابقا بأن جبران وأمين الريحاني هما أول من صرح برأييهما صراحة في الدين ورجاله وهذه النزعة الدينية متأتية من النظرة الشمولية للإنسانية، ومن بين أقوال جبران في نبيه عن الإنسانية قوله <<حسن أن تعطوا إذا سئلتم، والأحسن أن تعملوا بوحي من أنفسكم فتعطوا من غير أن تسألوا>>.(2)

---

[1]المرجع السابق، ص 61 _ 62.

[2] جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 58.

ويرى بأن الأديان واحدة كقوله في "البدائع والطرائف" وهو ما يقدم في ذلك القاعدة الأساس للحوارات الدينية: <<إنني أعلم أننا إذا جردنا الأديان مما تعلق بها من الزوائد المذهبية والاجتماعية وجدناها دينا واحدا>>.(1)

تمثل الأديان الرابط القوي الذي يشد الإنسان بأخيه الإنسان وهذه الوحدة هي لتي أعانت جبران في تصوراته فقد كان يحتفظ بيسوع في نصف صدره، وبمحمد صلى الله عليه وسلم في النصف الأخر، ويهمس إلى كل مواطن يعيش في العام العربي (أنت أخي، وأنا أحبك، أحبك ساجدا في جامعك، وراكعا في هيكلك، ومصليا في كنيستك فأنت وأنا دين واحد وهو الروح، وزعماء فروع هذا الدين أصابع ملتصقة في يد الألوهية المثيرة إلى كمال النفس"(2)

كما يعتقد بّأن الإيمان أمر فردي، وفطري يتعلق بنية الإنسان وأن الأديان لها منشأ واحد هو الذات الإلهية المقدسة، ويرى بأن الدين يشمل كل ما في الحياة كقوله في النبي: <<أليس الدين كل ما نعلمه ونفكر به>>(3) وهذه دعوة من جبران لعدم الفصل بين الحياة والدين فالدين في نظره ليس رهين الطقوس والدعوات، بل إنه يشمل جميع مجالات الحياة إذ هو معاملة أخلاقية وحضارية .... وعلى هذا النحو يجب فهم دعوة النبي أنها دعوة إلى إقامة حضارة على أساس روحي، حضارة يصبح فيها الإنسان عظيما كالسنديانة* الجبارة المغطاة ببراعم التفاح الجميلة ..."(3)

[1] كاظم حظيظ، أعلام ورواد في العالم العربي، ص 413.

[2]-جبران خليل جبران، النبي، ثورة عكاشة، ص 50.

[3]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد،ص 94.

*-السنديانة: هي جنس من الأشجار الحجرية من فصيلة السنديانات أو البلوطات، أنواعه كثيرة معظمها أشجار كبيرة أخشابها صلبة صناعية، قشور بعضها فلينية، وهى أشجار جميلة المنظر غليظة الساق، كثيرة الخشب، وتعني في اللغة الايطالية لقب المرأة النبيلة رفيعة الشأن.

[3]-سعيد مكروم، (الرؤيا الصوفية للعالم والحياة الإنسانية في النبي لجبران خليل جبران)، مجلة حوليات التراث، العدد 02، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم،الجزائر، 2004، ص 60.

أ_ الدين المسيحي (الإنجيل)

لا شك بان أقوى تأثير ديني على جبران هو الدين المسيحي كونه معتنقا للديانة المسيحية، وخاصة الكتاب المقدس الإنجيل (كتاب الحياة)،فإذا قرانا كتاب النبي جيدا وتأملنا في أقواله نجده متأثرا به بشكل واضح سواء من الناحية الفكرية، أو من الناحية الأسلوبية حيث يتميز أسلوبه (جبران) بالوعظ محاكيا فيه أسلوب المسيح عليه السلام، وأسلوب الكتاب المقدس، إذ يعرض آراء السابقين في قضية معينة ثم يخالفها الرأي، ويرى بأن رأيه هو الصواب، وفي هذه المقارنة يستخدم مفردات وألفاظ أو بعض العبارات والكلمات من الإنجيل نفسه، كقوله في العمل مثلا: "يقولون لكم أبدا إن العمل لعنه ونكبة، أما أنا فأقول لكم إنكم بالعمل تحققون بعضا من الحلم الذي هو أبعد أحلام الأرض وإن ذلك البعض أنيط تحقيقه لكم منذ أن ولد الحكم"[1].

جاء في كتاب الإنجيل عن موضوع الانتقام مثلا: <<وسمعتم انه قيل: عين بعين وسن بسن أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بمثله، بل من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الخد الأخر>>[2]

وجاء في الإنجيل عن الطلاق: << وقيل أيضا: من طلق زوجته، فليعطها وثيقة طلاق، أما أنا فأقول لكم: كل من طلق زوجته لغير علة الزني، فهو يجعلها ترتكب الزنى ومن تزوج بمطلقة، فهو يرتكب الزنى>>[3]

ونجد أن جبران في كتابه مستهلا حديثه عن المصطفي وبقائه في مدينة أور فليس (تعني أساس المحبة أو أساس العواطف)، مرتقبا عودة سفينته فهنا نجد نوعا من التقارب في المفردات مع الإنجيل، ففي نبي جبران جاء قوله: <<مر على المصطفي

---

[1]–جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 103 _ 104.

[2]– الإنجيل، (إنجيل متى 05)، ص 13.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

حبيب الله ومختاره والرجل الذي كان فخرا لزمانه،اثنا عشر حولا في مدينته أورفليس وهو يرتقب عودة سفينته ليركبها قافلا إلى الجزيرة التي كانت مسقط رأسه وفي السنة الثانية عشر، في اليوم السابع من أيلول شهر الحصاد، صعد إلى قمة إحدى التلال القائمة وراء جدران المدينة وألقى نظرة عميقة إلى البحر، فرأى سفينته تمخر عباب البحر مغمرة بالضباب>>[1]

في حين جاء في الإنجيل عن جنوح السفينة: <<ولما طلع النهار، لم يستطع البحارة أن يميزوا المكان، ولكنهم أبصروا خليجا له شاطئ فقرروا أن يدفعوا السفينة إليه، إذا استطاعوا فقطعوا المراسي وتركوها تغرق، وحلو الحبال التي تربط الدفة، ورفعوا الشراع الأمامي للريح، واتجهوا نحو الشاطئ>>[2]

نظرا لتأثر جبران بالإنجيل واقتباسه منه مضمونا وفكرا في جميع مواضيع مادة الكتابة لم يتسن، لنا لضيق الوقت شرح وإيضاح كل هذا، ولهذا السبب ارتأينا اختيار البعض منها فقط.

كموضوع الحب يقول جبران عن الحب الذي كان أول مواضيعه لأهل أورفليس قبل رحيله: << كل ذلك يفعله الحب فيكم، كما تتكشف لكم أسرار قلوبكم فتصبحوا بعضا من قلب الحياة ... فخيركم إذ ذاك أن تستروا عريكم، وأن تبرحوا بيدر الحياة ثم أن تعودوا إلى العالم الذي انعدمت فيه الفصول، حيث تضحكون، ولكن بعض ضحككم لا كله، وحيث تكون، ولكن من غير أن تذرفوا كل ما في مآقيكم من دموع. الحب لا

---

[1]-جبران خليل جبران، النبي، ترجمة أنطونيس بشير، د ط، دار تلانتيقيت للنسر، بجاية، الجزائر، 2003، ص 19.

[2]- الإنجيل، (أعمال الرسل 27، 28)، ص 455 _ 456.

يعطي إلا نفسه ولا يأخذ إلا من نفسه والحب لا يملك لا يطيق أن يكون مملوكا وحسب الحب أنه حب>>[1] ويقول جبران في الزواج <<أحبوا بعضكم بعضا ولكن حذاري أن تجعلوا من الحديث فيدا>>[2].

وجاء في الإنجيل كلام كثير عن الحب بمفاهيم متعددة منها: "يا أولادي الصغار سأبقى عندكم وقتا قصيرا بعد، ثم تطلقونني ولكني أقول لكم ما سبق أن قلته لليهود: إنكم لا تقدرون أن تأتوا حيث أنا ذاهب، وصية جديدة أنا أعطيكم: أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم أنا تحبون بعضكم بعضا بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كنتم تحبون بعضكم"[3]

"لا تكونوا في دين للأحد إلا بأن يحب بعضكم بعضا، فإن من يحب غيره، يكون قد تمم الشريعة، لان الوصايا "لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد زورا ..." وبالتالي الوصايا تتلخص في هذه الكلمة "أحب قريبك كنفسك" فالمحبة لا تعمل سوءا للقريب، وهكذا تكون المحبة إتماما للشريعة كلها"[4]

وهذه الوصايا الموجودة في الإنجيل نلاحظ أنها ربطت بالمحبة، أي أن المحبة لا تكون فعلية إلا بالعمل بهذه الوصايا.وعن حب الله يقول جبران في النبي: "«إذا أحب أحدكم فلا يقولن: إن الله في قلبي" وليقل بالأحرى إنني في قلب الله".
ولا يخطرن لكم ببال أن في مستطاعكم توجيه الحب بل إن الحب، إذا وجدكم مستحقين هو الذي يوجهكم».[5]

1- جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 49 _ 50_ 51.

2- المرجع نفسه، ص 53.

3-الإنجيل، إنجيل يوحنا 13، 14، ص 329 _ 330.

4-المصدر نفسه، ص 492 _ 493.

5-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 51.

أما عن حب الله في الإنجيل فقيل:<<أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا: لأن المحبة تصدر من الله إذن كل من يحب، يكون مولودا من الله، ويرى الله، أما من لا يحب فهو لم يتعرف بالله قط لأن الله محبة، وقد اظهر الله محبته لنا إذ أرسل لنا ابنة كفارة لخطايانا.

وما دام الله قد أحبنا هذه المحبة العظيمة، أيها الأحباء فعلينا نحن أيضا أن نحب بعضنا بعضا.

إن الله لم يره أحد من الناس قط، ولكن حين نحب بعضنا بعضا، نبين أن الله يحيا في داخلنا، وأن محبته قد اكتملت في داخلنا، وما يؤكد لنا أننا نثبت في الله، وانه يثبت فينا هو انه وهب لنا روحه، ونحن أنفسنا نشهد أن الأب قد أرسل الابن مخلصا للعالم، لأننا رأيناه بعيوننا>>[1]

<<أيها الأحباء إذا كانت ضمائرنا لا تلومنا فهذا دليل على أن لنا ثقة عظيمة من نحو الله، ومهما نطلب منه بالصلاة نحصل عليه، لأننا نطيع ما يوصينا به، ونمارس الأعمال التي ترضيه.... وأن يحب بعضنا بعضا كما أوصانا وكل من يطيع وصايا الله، فإنه يثبت في الله، والله يثبت فيه، والذي يؤكد لنا أن الله يثبت فينا، هو روح القدس الذي وهبه لنا >>[2]

فجبران يجد الراحة والمحبة في قلب الله الأعظم الواسع ليظم الأحياء جميعا، وهل من ملجأ أفضل من الله وقلبه يقصده الناس في آلامهم وقلقهم وأفراحهم؟

واقترن موضوع المحبة عند جبران بالعمل حتى وإن كان يفصل بينهما بمواضيع كثيرة من مشاغل الحياة، فراح يعتقد بأن العمل من دون محبة باطل، ولهذا قال في النبي عن العمل: <<وأنتم لا تحيون بالعمل، تعبرون عن حبكم للحياة ومن

---

[1]-الإنجيل، (01 يوحنا 4، 5)، ص 743 _ 744.

[2]-المصدر نفسه، (01 يوحنا 03)، ص 741 _ 742.

أحب الحياة بالعمل فقد وقف على أعمق سر من أسرارها .... وكل عمل لا خير فيه إلا إذا قامت به المحبة.

أما إذا عملتم بمحبة فأنتم إذ ذاك تشدون أنفسكم إلى أنفسكم وبعضكم إلى بعض وإلى الله>>[1]ويقابله في الإنجيل ما يلي:

"إن محبتنا لإخوتنا تبين لنا أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة، فالذي لا يحب إخوته، فهو باق في الموت، وكل من يبغض أخا له، فهو قاتل، وانتم تعرفون أن القاتل لا تكون له حياة أبدية ثابتة فيه، وقياس المحبة هو العمل الذي قام به المسيح إذ بذل حياته لأجلنا، فعلينا نحن أيضا أن نبذل حياتنا لأجل إخواننا ...، أيها الأولاد الصغار لتكن محبتنا لا ادعاء بالكلام واللسان، بل محبة عملية حقة، عندئذ نتأكد أننا نتصرف بحسب الحق وتطمئن نفوسنا في حضرة الله، ولو لا متنا قلوبنا فإن الله أعظم من قلوبنا، وهو العليم بكل شيء"[2]

إن أوجه التأثير والتشابه كثيرة بين كتاب النبي والإنجيل، حتى في الألفاظ مثل: الهيكل، الصلاة، البذار، الزرع، العقل، الحياة، الحرية، الدين، العمل، الجبال، المحبة ... الخ، كما أن جبران تأثر كذلك بأسلوب الإنجيل وطريقة تحليله للأحداث مع استعانته بفلسفته الخاصة للأحداث، كالموت والصلاة والحب .... الخ.

وما يلاحظ عليه أيضا استعماله طريقة كلام يسوع المسيح وخطابته عندما يتحدث بصيغة الجماعة إلى تلاميذه كما رأينا سالفا، في موضوع المحبة، وحتى في مواضيع أخرى كالموت والصلاة ....، فنبي جبران عندما يتحدث إلى المطرة وأهل أورفليس يعظهم خاطبا آمرا بحكمه وآرائه.وقد استخدم حبران أسلوب الجمع بين المتناقضات كما في الإنجيل؛ أي ما يسمى في الأدب الحديث بالمفارقة مصطلح ظهر

[1]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 104 _ 105.

[2]-الإنجيل، (1يوحنا3)، ص 741_742.

بظهور قصيدة النثر لتي تعد المفارقة إحدى أهم الركائز التي تبنى عليها، وكمثال على هذا نستدل بقول نبي جبران عن الموت في الفصل الأخير للكتاب: <<ولكن أنى لكم أن تجدوه ما لم تفتشوا عنه في قلب الحياة؟ .... لأن الحياة والموت واحد كما أن النهر والبحر واحد>>[1] ويقابله في الإنجيل: <<لأنه قد انتقل من الموت إلى الحياة: الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني تكون له الحياة الأبدية ولا يحاكم في اليوم الأخير لأنه قد انتقل من الموت إلى الحياة...>>* .

ومن بين المناقضات التي وردت في النبي ما يلي: "الكثير والقليل، الليل والنهار، وحدة وانفصال، الخوف والسلام، الحزن والفرح، العقل والهوى، التسلية والضجر، الجزر والمد... الخ"[3].

فمن خلال هذا نلاحظ مدى التأثير الإنجيلي على الفكر الجبراني، حيث يعد الإنجيل لهذا الأخير المنبع والمرجع الأساسي ليقظة الوعي الفكري والفلسفي له، وتأثيره بالإنجيل واضح وضوح الشمس في التشكيلات البيانية التي استعملها كما قلنا من وعظ وإرشاد، وطريقة المثل الصغير الذي يورد فكرة فلسفة أو خلقية متعلقة بالواقع الإنساني أو بمصيره، وبما أن جبران مسيحي فمن الضروري عليه الحفاظ على إيمانه بالمسيح وبدينه المسيحي بالإنجيل وتعاليمه.

كما يلاحظ أيضا بأن هيكلة كتاب النبي تقرأ وكأنها نص مقدس ولذلك فهو يصنف ككتاب ديني، ويوضع في قسم الديانات في مكتبات أمريكا وأوربا.

فهو في شكله ومضمونه ولغته يشبه الإنجيل وأسفار العهد القديم (التوراة)، فيه النثر والأمثلة عملا بأسلوب المسيح في الإنجيل، وملئ بالتصورات المعبرة، ويبدأ

1-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 293.

*-المفارقة تبنى انطلاقا من تقارب المتباعدات والمتناقضات، يعني الجمع والتحاور بين المتناقضات كالماء والنار، الحياة والموت.

3-الإنجيل، (إنجيل يوحنا 05)، ص 293.

جمله وعباراته بعبارة الحق أقول لكم ... يقولون... ولكني أقول... أما أنا فأقول لكم...، بأسلوب إنجيلي فيه سلطان للكلام وكأنه المسيح هو لذي يتكلم، ويظهر التراث الإنجيلي في كتاب النبي حتى في تقطيع النص إلى أبيات غير موزونة ولا مقفاة.

ب/ الدين الإسلامي (القرآن)

لقد كان للإسلام والقرآن الكريم تأثير على جبران خليل جبران والدليل على هذا هو مقاله الذي نشره بعنوان "**إلى المسلمين من شاعر مسيحي**" وهذا إن دل على شيء فإنه على إنسانية جبران ومفهوميته بأن اعتناق الأديان أمر يرافق الحرية، وانه واسع المحبة، وإنسان متعايش ومنفتح.

ويمكننا حصر بعض أوجه تأثر جبران في نبيه بالقرآن الكريم من ناحية الفكر والأسلوب، فمثلا يقول جبران في نبيه: <<ولكنكم لا تبصرون ... فالحجاب الذي على عيونكم سترفعه في النهاية اليد التي حاكته... وعندئذ تبصرون>>[1] آخذا هذا النمط والمعنى من قوله تعالى: "لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد".[2]

ونلاحظ عند جبران أيضا إيمانه بحقيقة وحدة الوجود التي اشتقها من المفهوم القرآني فهو يقول: "وكما أن لكل منكم مقاما منفردا في معرفة الله إياه، هكذا يجب عليه أن يكون منفردا في معرفة لله، وفي إدراكه لأسرار الأرض"[3]

وقد أخذ هذا المفهوم من قوله تعلى: "اللهِ لاَ إِلَهَ إِلّا هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي اَلْسَمَوَاتِ وَمَا فِي اَلأَرْضِ مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

[1]– جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 132.

[2]– القرآن الكريم، سورة ق، الآية 22.

[3]– جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 88.

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيء مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُهُ السَمَواتِ والأَرْضَ ولاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْعَظِيمُ"[1]

وقوله تعالى أيضا: "وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُوَنَ أَنَّ مَع الله آلهَةً أُخْرَىَ قُلْ لاَ أَشْهَدُ قُلْ إِنَمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَنَي بَرِئٌ مِمَا تُشْرِكُوُنْ"[2] وغيرها أمثلة كثيرة من القرآن توحي بوحدة وجود الله التي أخذ منها جبران متأثرا بها.

كما أننا نجد في النبي بعض المفردات التي استقاها جبران من القرآن الكريم مثل: الفجر،الكوثر،الجنة،الليل،الشمس (وإن كانت هاتان الأخيرتان من مصطلحات الطبيعة أيضا)، النور، الصلاة، الريح العاتية، لذة، الخيط الأبيض، الخيط الأسود، الموت، الحياة، الملائكة، العبادة، الخير، الشر.... الخ، فمنها ما هي أسماء لسور في القرآن ومنها ما هي مفردات داخل آيات السور، وغيرها كثير متضمن داخل الكتاب.

يقول جبران عن الإسلام والمسيحية: "إن طبيعة الإسلام لا تقبل الزوايد، فالإسلام حقيقة مجردة مطلقة.... إن الإسلام ليس بدين فقط كما يظن مستشرقو الانكليز، بل هو دين وشريعة مدنية تضم تحت جناحيها الهائلين جميع حاجات الإنسان في كل عصر ....أنا أحترم المسحيين كدين، ولكني لا أستطيع أن أوفق بين المسيحية وأعمال المسيحيين، وهذا هو الفرق بين المسحية والإسلام، لأن الإسلام يعلم ويعمل بموجبه تعاليمه، أما المسيحية فلا تفعل ذلك.المسيحي يحب أعلاءه في الكنيسة وعندما يخرج منها يفكر بالسبل الفعالة التي تفني أعدائه، المسيحي يمجد الفقر والمسكنة والوداعة عندما يكون جالسا أمام إنجيله ولكنه لا يضع ذلك الكتاب جانبا حتى ينتصب مفاخرا بغناه مكابرا بجبروته متسامحا بغطرسته. المسيحي يلوي عنقه ويمد ذراعيه ويقول بصوت يضارع تنهده العذراء "ومن ضربك على خدك الأيمن فحول له الأيسر" ثم لا ينتقض كالأسد

---

[1]- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 255.

[2]- المصدر نفسه، سورة الأنعام الآية 19.

الجائع، المسيحي يقول الدنيا لا شيء والآخرة كل شيء لكنه يعيش للدنيا ولايذكر الآخرة"[1]

يقول جبران في رسالته هذه التي يبني فيها محبته للدين الإسلامي ولمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم :<<أنا لبناني ولي فخر بذلك .... أنا مسيحي ولي فخر بذلك ولكنني أهوى النبي العربي وأكبر أسمه وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله ..... أحب الإسلام وعظمته الإسلام ولي رجاء برجوع مجد الإسلام، أنا أجل القرآن ولكنني أزدري من يتخذ من القرآن وسيلة لإحباط مساعي المسلمين كما أني أمتهن الذين يتخذون الإنجيل وسيلة للحكم برقاب المسيحيين.... خذوها يا مسلمين كلمة من مسيحي أسكن "اليسوع" في شطره من حشاشته ومحمدا في الشطر الآخر>>.[2] تبين لنا هذه الأدلة مدى شوق ومحبة جبران للدين الإسلامي والقرآن الكريم وللنبي محمدا صلى الله عليه وسلم ومدى احترامه للمقدسات الدينية، وحفظ كرامتها، مما أدى به إلى توظيفها في مؤلفاته.

ج_ الديانة الزرادشتية:

يسمى الكتاب المقدس الأصلي للديانة الزرادشتية ب"أفستا"، وقيل أنه يتجاوز عمره ثلاثين ألف سنة، وهو عبارة عن موسوعة حضارية للشعوب الآرية في إيران والهند ويعكس الطقوس الدينية والأفكار الفلسفية والأخلاقية، وعلم الفقه والشرائع، والطب، والفلك، الثقافة. كتب بلغة الفارسية، تسمى "لغة الزند" ونبي هذه الديانة يسمى زرادشت .

---

[1]–أنوطن القوال، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران (نصوص خارج المجموعة)، د، ط، دار الجيل، لبنان، 2002، ص 156، 158.

[2]– المرجع نفسه، ص 208_209 _ 210 .

تأثر جبران بالديانة الزرادشية لكن ليس بطريقة نبية مباشرة وإنما بطريقة فلسفية أدبية أكثر منها دينية تمثلت في كتاب الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه صاحب كتاب هكذا تكلم زرادشت.

اتسعت آفاق جبران ودخل نيتشه حياته بزرادشتية وتعاليمه وفلسفته، وأصبح يهيم بكتابات نيتيشة مما جعلته يصل إلى حد إنكار ما كان يؤمكن به روحيا وعقائديا مما جعله يرى نفسه سيدا مستعليا.

وكتاب النبي ما هو إلا صورة مكتملة لجبران جمع فيه تجاربه من الحياة كلها وعواطفه، وميولا ته وأحلامه، وآرائه وصوفيته وفلسفته فبعد أن ألقى على أهل أورفليس خمسة وعشرين موعظة يودعهم وداعا مؤثرا وينصرف عنهم إلى بلاده، فهذا هو القالب الأخير الذي حبذه جبران ليضع فيه خلاصة أفكاره للناس وحياته ولكن هذا القالب لم يك0ن كله من صياغته هو، بل استعاره من "نيتشهوزرادشت".

نيتشه اتخذ زرادشت النبي باثا فيه أفكاره مستهلا كتابه ب: <<عندما بلغ زرادشت الثلاثين من عمره، غادر موطنه وبحيرة موطنه وذهب إلى الجبال وهناك أخذ يستمع بروحه ووحدته مدة عشر سنوات ولم يتعب ولم يمل من سعادته.>>[1]

وجبران اتخذ نبيا دعاه المصطفى، يقول جبران في كتاب النبي:<< مر على المصطفى حبيب الله و مختاره، والرجل الذي كان فجرا لزمانه، اثنا عشر حولا في مدينته أورفليس وهو يرتقب عودة سفينته ليركبها قافلا إلى الجزيرة التي كانت مسقط رأسه>>.[2]

فهنا نلاحظ تقارب واضح في طريقة العرض الأول لكل منهما.

---

[1]-فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة ريما ماجد علاء الدين، ط 1 ، دار رسلان، دمشق _ سوريا، 2006 ، ص 07.

[2]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 41.

استقى جبران في بداية كتابه مفردات من كتاب نيتشه كقوله عندما كان ينوي الرحيل: <<إن يكن هذا اليوم حصاد لي، فأين هي الحقول التي بذرت فيها بذراي، وفي أي الفصول التي لا أذكرها بذرت تلك البذور؟>>[1] ويقول نيتشه: <<لقد عاد زرادشت ثانية إلى الجبال إلى عزلة مغارته، وأخذ يتجنب الناس، فجلس ينظر كالزراع الذي يزرع تلك البذور>>.[2]

نبي جبران قبل رحيله يغوص في صمت عميق، يقول جبران: <<تلك الأفكار عبر عنها بالكلام، ولكن الكثير مما كان يجيش في قلبه بقي متلحفا بالصمت، لأنه لم يكن في طاقته أن ينطق بسره الأعظم والأعمق>>.[3]

ويقول نيتشه عن زرادشت: <<ولدى رؤية زرادشت لهذا لم يتلفظ إلا بكلمة واحدة: " يا أولادي إن الساعة تقترب"، ثم غرق في صمت تام ولكن قلبه سلا، ومن عينيه جرى الدمع وتساقط على يديه، بينما هو لم يعر اهتمامه لشيء وبقي جالسا بلا حراك......>>.[4]

من المؤكد أن جبران قرأ كتاب المفكر الألماني نيتشه بدقة، فكلاهما اختار حكيما يمثل ذاته وشخصيته، كما أنهما سارا على نفس النمط والأسلوب تقريبا، كما نجد أيضا تشابها وتقارب بينهما في تشكيل وهندسة وهيكلة الكتاب في تقسيم المواعظ التي تناولاها، مع تقارب في نفس المواضيع مثل: الحب، الحزن والفرح، الحرية، الصداقة، الموت.....

يقول نتيشة عن الصديق:" أنا وإيّاي دائما يجتهدان في حديثهما فكيف السبيل إلى تحمل هذا لولا وجود الصديق؟

---

[1]-المرجع نفسه، ص 45.

[2]-فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 81.

[3]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 45.

[4]-فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 338.

دائما يعد الصديق ثالثا بالنسبة للناسك، إنه السدادة التي تمنع حديث الاثنين من التعمق والنزول إلى أعماق لا قاع لها.

آه يوجد الكثير من الأعماق بلا قيعان، تكفي جميع النساك، ولهذا يتعطشون بلهفة لوجود صديق بكل علوه، إذا أردت أن تمتلك صديقا عليك أن تخوض حربا من أجله.[1]

ويقول جبران في هذا السياق: "عندما يفصح صديقك عما في فكره فأنت لا تخشى أن تقول له كلا ولا أنت تمسك عنه كلمة نعم وعندما يكون صامتا فقلبك لا ينفك يصغي إلى قلبه.

لأنه حيثما كانت الصداقة، فجميع الأفكار والرغبات والآمال تولد وتقتسم بفرح يأتي الصديقين دونما سابق إعلان.

وإذا افترقت عن صديقك فلا تحزن لأن ما أحببته فيه فوق كل شيء آخر ينجلي لك أكثر فأكثر في بعده عنك، مثلما ينجلي الجبل منا السهل لمن شاء أن يتسلقه.

ليكن خير ما عندك لصديقك.... وهل الصديق للتسلية فتسعى إليه في ساعة الضجر لقتل الوقت؟

بل اذهب إليه دائما لتحييا وإياه ساعات مليئة بالحياة.[2]

وعن موضوع الموت كلاهم تكلما عنه لصيقا بضده أو بما يعاكسه في المعنى (الحياة) استعملا طريقة التضاد، يقول زرادشتنيتشه: <<وحتى انتم الذين ترون الحياة جهدا قاسيا وقلقا ألستم مرهقين من الحياة؟ لم تنضجوا بعد لتدعوا إلى الموت .....

لو أن إيمانكم بالحياة كان أكبر، لأقللتم من تسليم أنفسكم للحظة ولكن محتواكم لا يكفي ليجعلكم تنظرون، ولا يكفيكم حتى للتكاسل؟

---

[1] المرجع السابق، ص 54.

[2] فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 43.

في كل مكان تسمع أصوات الذين يدعون إلى الموت والأرض تمتلئ بالذين بحاجة للدعوة إلى الموت أو الحياة الخالدة، فالأمر سواء لدي، شريطة ألا يتأخروا في التوجه إلى هناك>>.[1]

ويضيف قائلا:<< الحر اتجاه الموت والحر في موته، يقول قول لا المقدس، عندما لا يبقى هناك وقت لقول الموت والحياة فهما أفضل.>>[2]

ونبي جبران يتحدث عن الموت قائلا:<< تريدون أن تعرفوا سر الموت ولكن أنى لكم أن تجدوه ما لم تفتشوا عنه في قلب الحياة؟

إذا كنتم تريدون حقا أن تبصروا روح الموت الواحد، فافتحوا أبواب قلوبكم على مصرعيها لجسد الحياة.

لأن الحياة والموت، كما أن النهر والبحر واحد.

إن معرفتكم الصامتة لما بعد الموت لتستقر في أعماق آمالكم وأهوائكم>>.[3]

ونلاحظ أيضا بأن الطريقة والأسلوب الذي ودع بهما زرادشت تلاميذه وأصدقائه هما نفسهما الذين ودع بهما مصطفى جبران أهل أورفليس، فكان وداعهما مقرون بوعد العودة، يقول نيتشه:<< وها قد أتى الأسد، اقتربت الساعة، يا أولادي، قد نضج زرادشت وجاءت ساعتي.

إنه صباحي ينبثق يومي فانهض انهض يا وقت الظهيرة العظيم !

قال زرادشت ذلك وغادر مغارته، وهو مشرق قوي كشمس الصباح التي تشرق من وراء الجبال القائمة.>>[4]

---

[1]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 104 _ 105.

[2]-المرجع نفسه، ص 73.

[3]-المرجع نفسه، ص 136.

[4]-فريدركنيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 339.

ويقول مودعا تلاميذه في آخر القسم الأول من الكتاب:<< فقط عندما تتخلون عني جميعكم سأعود إليكم حقا سأبحث حينئذ عن الذين أضعتهم بعيون مختلفة يا إخوتي وسأحبكم عند ها محبة مختلفة.>>[1]

وفي أول القسم الثالث يتأهب زرادشت للعودة إلى العالم الذي كان فيه فيصعد جبلا عاليا، وفي صعوده يكتشف قلبه آلامه ثم يشرف على البحر فيخاطبه قائلا: <<إنني أتعرف على قدري _ قال بحزن أخيرا_ حسنا ! أنا جاهز لقد بدأت عزلتي الأخيرة آه هذا البحر الحزين الأسود تحتي آه هذا الانزعاج الليلي الثقيل ! آه هذا القدر والبحر !إليكما يجب أن أنزل الآن.

إنني أقف أمام أعلى جبل لي وأمام أطول رحلة لي، ولهذا علي أن أنزل، أخفض مما صعدته في يوم ما.

وعليّ أن أغوص في المعاناة أعمق مما صعدت في يوم ما، إلا أشد الأمواج سوادا ! هكذا أراد قدري حسنا أنا مستعد>>.[2]

ويقول جبران في كتابه النبي:<< قال ذلك وانحدر من على درج الهيكل وتبعه شعبه، إذا أدرك سفينته وقف على ظهرها.

ثم التفت إلى الجمع ثانية، ورفع صوته وقال: يأهل أورفليس، إن الريح لتأمرني بالانصراف عنكم ولا بد لي من الانصراف،وإن لم يكن بي من العجلة مثلما في الريح...

إن يكن فيما قلته لكم شيء من الحق فذلك الحق سيعلن ذاته بصوت أكثر جلاء من صوتي اليوم، وبكلمات أقرب إلى مداركم.

---

[1]-المرجع السابق، ص 79.

[2]-المرجع نفسه، ص 154.

إنني ذاهب مع الريح، يا أهل أورفليس ولكن لا لأنحدر إلى فراغ العدم، وهذا النهار إن لم يكن تحقيقا لرغباتكم ومحبتي فليكن عهدا حتى يجئ يوم آخر...

ومن بعد أن فاه بهذه الأشياء التفت حواليه فأبصر ربان سفينته واقفا بجانب الدفة وهو يرسل نظراته آنا إلى الشارع وآونة إلى الأفق البعيد.

فقال: .....

فأنا مستعد

لقد بلغ الجدول، وها هي أمة الكبرى تضمه ثانية إلى صدرها

الوداع يا أهل أورفليس

لقد انتهي هذا النهار

وهو ينغلق الآن علينا كما تنغلق زنبقة الماء على غدها.

إنا سنتحفظ بما أعطيناه هاهنا،

وإن هو لم يكفنا، فعلينا إذ ذاك أن نعود فنجتمع ثانية، وأن نبسط أيدينا معا إلى النهر

لا يغربن عن بالكم أني سأعود إليكم.

هنيهة بعد، ويعود حنيني فيجمع الطين والزبد لأجل جسد آخر.

هنيهة بعد_ لمحة استراحة على الريح وتلدني امرأة أخرى وداعا يا أهل أورفليس، ويا شبابا صرفته معكم>>.[1]

كما أننا أيضا نعثر على بعض الصور والمفردات الموجودة في العملين: مثل: القوس، السهم، الفجر، الجبل، النجمة العظيمة، الصباح، الظهيرة، الفرح، المغارة، الدرب، الغابة ،الريح.....، وكما أن زرادشت يمثل شخصية نيتشه كذلك المصطفى مثل شخصية جبران، غير أن أسلوب الكتابة النيتشوية يتميز برمزية شديدة وفصيح فصاحة تفخيمية، في حين تمتاز الكتابة الجبرانية هنا بالبساطة والجلاء، ونتيشه أقرب

---

[1]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 121_122 _ 131 _134.

بكثير إلى التحليل الفسلفي والتشاؤمية أكثر من جبران الذي يقدم رسالة روحية تدعو إلى تفتح الذات وإلى رؤية أعمق للحياة.

ويلاحظ أيضا على عمل جبران بأنه استعمل بعض الشكليات النيتشوية الزرادشتية كأسلوب الوعظ ولغة الحكمة والتمرد،إذ يقول: <<عن الصلاة أنتم تصلون في الشدة وعند الحاجة ويا ليتكم تصلون وأنتم في قمة الفرح وفي منتهى الرخاء.
وهل الصلاة إلا أن تتمدد ذاوتكم في الأثير الحي؟

إنكم في الصلاة ترتفعون لتلتقوا في الفضاء بجميع الذين يصلون في تلك الساعة، والذين لا تلتقون بهم إلا في الصلاة.

فلتكن زيارتكم لذلك الهيكل غير المنظور لا لسبب إلا لتجعلوه منها داعيا للنشوة الروحية وللتعارف الطيب.

لأنكم إذ نحلتم الهيكل بقصد الاستعطاء لا أكثر فلن تحصلوا على شيء أو دخلتموه لتذلوا نفوسكم فلن تخرجوا منه مرفوعي الرؤوس.

حتى وإن دخلتموه لتستجدوا للغير فلن يسمع استجداءكم أحد حسبكم من الهيكل الغير المنظور أن تدخلوه ليس لي أن أعلمكم كيف تصلون بالكلام.
فالله لا يصغيّ إلى ما تقلون إلا إذا قاله هو نفسه بشفاهكم>>.[1]

ونجد زرادشت واعظا بقوله: <<أنتم تلتصقون بالقريب ولأجل ذلك لديكم كلمات رائعة ولكنني أقول لكم إن محبتكم تجاه القريب هي محبتكم الرديئة تجاه أنفسكم.

إنكم تسرعون إلى قريتكم هاربين من أنفسكم، راغبين أن تجعلوا من ذلك فضيلته ولكنني أرى بوضوح "خلوكم من الطمع".

"أنت" أكبر سنا من "الأنا" و"أنت" تم الاعتراف به مقدسا، ولم يتم الاعتراف ب "أنا" بعد، إلى هذا الحديث يلتصق الإنسان بقريبته.

---

[1]-المرجع السابق، ص 97_98 .

هل أنصحكم بالمحبة تجاه قريب؟ بل إنني أنصحكم بالهروب بعيدا من القريب ومحبة البعيد!

فالذي يعلو على المحبة تجاه القريب هو المحبة تجاه البعيد والمستقبل، وأنا أضع فوق محبة الإنسان المحبة تجاه الأشياء والأشباح ....>>[1]

ومن كل هذا هل يتبن لنا بأن جبران كان متأثرا شديد التأثر بكتاب نيتشه الفيلسوف المتمرد سواء من الناحية الشكلية للكتاب في تقسيم المواعظ إلى أقسام وأجزاء، أو في المضمون الفكري الداخلي، وحتى في المفردات والجمل والأسلوب وطريقة اعرض الأفكار.

وهناك سؤال حير الجميع وأدهشهم لما رأوا في جبران من احترام للأديان واستلهامه منها، إلى أي دين ينتمي جبران؟ وبأي إله يؤمن؟

فبعد هذا السؤال اتضح لهم بأن إله جبران خاص ينهل مناهل متقاطعة في ما بينها من المسيحية، والإسلام، والتصوف الإسلامي، وديانات الهند الكبرى(الزرادشتية)، والتيوصوفية، وعلم النفس، والفلسفة النيتوشية ... الخ، غير أننا لا نستطيع القول إلا انه لا يمكننا حذف إيمانه المسيحي، لأن معظم مؤلفاته روحانية مسيحية يضاف إليها مسحة روحانية شرقية آسيوية المصدر.

ولا شك أن كتاب النبي رائعة نستطيع القول عنها أنها خالدة، إلا أن روعته هذه لا تكمن في أسلوب تعبيره بقدر ما تكمن في مضمونه التأملي الصوفي الفلسفي الذي يعلم الحكمة والحياة الإنسانية.

2_ التراث الصوفي :

كما هو معروف التصوف ظاهرة فريدة تمس القلب والروح قبل الجوارح والأعضاء، فهو يرتبط بالمجاهدة والرياضة النفسية والأحوال والمقامات، لأنه روح

[1]- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص59 .

جديدة تمزج بالعاطفة الدينية المؤسسة على أعمال القلوب وهي تنحصر في التصديق، والإيمان واليقين، والصدق، والإخلاص والمعرفة، والتوكل، والمحبة، والشوق، والوجد.

أما الأدب الصوفي فهو ذلك الأدب الذي يعتمد على المعرفة التي تتكئ على الخيال والحب الإلهي مما يعمق الرؤية الروحانية للأديب المتصوف، فالشاعر الصادق كالصوفي، ينتهيان إلى جاذبية المنتهى.

وعلى اعتبار أن جبران أديبا وفنانا وشاعرا، كان له نصيب في الاغتراف من التصوف والذي يمثل له أكبر اتجاه ومنحى فكرى يسير عليه لأنه كان يسعى إلى السمو الإلهي والصفاء الروحي من خلال تقاطعه مع أفكار الصوفية.

وكتاب النبي لجبران يتضمن أسلوب رؤيا للإنسان والحياة والكون ولقد أبدى فيه جبران نزعة توكيدية شديدة للحياة فتجاوز فرديته الضيقة إلى انفتاح واسع على الحياة الإنسانية ... وانتقل بذلك إلى رؤيا أكثر شمولا ونضجا وحيوية تجاه العالم ويعتبر هذا الانجاز الجبراني على صعيد معرفة الذات والعالم منتهى الجهد الروحي الطموح إلى الخلاص الشامل، وهو مجهود روحي ضخم أكسبه تلك القدراتالإدراكية العليا التي يمتلكها الصوفي، ذلك أنالإنسان الذي تجاوز مستويات المعرفة الدنيا من حسية وعقلية إلى مستوى روحي سام وكان من نتائج ذلك كرره بالمحبة الإنسانية الشاملة ولا يعني ذلك ضمور الإحساس الفردي عنده بل إن كفاحه من أجل الحياة كان يتطلب منه التوفيق بين النزعة الفردية وانتمائه الإنساني، وهو ما فرض عنده تأزما فكريا طوال مراحله السابقة جسدته رؤياه اللاإنتمائية لكنه بوصفه فنانا مبدعا تجاوز هذا المأزق الفكري (الاغتراب)بفضل صوفيتهالرؤيوية التي غدت عنده دافعا روحيا فعالا على لسمو والارتقاء.(1)

1-سعيد مكروم، الرؤيا الصوفية للعالم والحياة الإنسانية في البني لجبران خليل جبران، ص 57.

وقد اتضح لنا من خلال الخلفيات الفكرية والفسلفية لأدب جبران بأنه من بين المؤثرات التي كان لها النصيب الأكبر في تدعيم أدبه، وفكره الاتجاه أو المنحي الصوفي حيث أن آراءه الماوارائية ترتكز على الإيمان الصوفي بوحدة الوجود، فالله والإنسان والطبيعة وكل ما في الكون وجوه مختلفة لوجود واحد، ومظاهر متعددة لحقيقته واحدة مطلقة أزلية أبدية وما دام الوجود واحدا تكون ذات الإنسان صورة مصغرة للعالم بأسره، وجوهر الإنسان هو جوهره الوجود المطلق ...وأن مصدر الألوهية فيه هو الذات الخفية[1] لذلك يؤكد نبي جبران بقوله:<< كالمحيط هى ذاتكم الربانية، فهي أبدا طاهرة من الدنس>>[2] كما يؤكد ضرورة الألم الممزوج بالحنين إلى الذات العظمى إنه تعطش الإنسان للعودة إلى مصدر وجوده الذي انفصل عنه، ويكون الإتحاد به ثانية أقصى ما يتمناه.

ويربط جبران التصوف بالحب، حيث ير في هذا الأخير بأنه جوهر الحياة والكاشف لأسررها وبواسطته تقترب إلى الحقيقة وإلى أقصى درجات الدنو إلى الاتحاد، فهو يقودنا حسب فهمه إلى الحلوليه الصوفية.

يقول نبي جبران: إذا أحب أحدكم فلا يقولن إن الله في قلبي وليقل بالأحرى إنني فيقلب الله.[3].

يرى جبران بأن جوهر الناس من جوهر الوجود المطلق لذا فالناس عنده جميعا متساوون لذلك يقول النبي لسكان أورفليس "إنكم تمشون موكبا واحدا نحو ذاتكم الإلهية.[4] أمن

جبران بأن الحقيقة المطلقة الخالدة تدرك بالوحي والإلهام الذين يهبطان في القلب، حيث

---

[1] جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد ، ص 24.

[2] المرجع نفسه ، ص 115.

[3] المرجع نفسه ، ص 51.

[4] المرجع نفسه، ص 17 .

نلاحظ على كتاب النبي وخاصة الكتب التي ألفها باللغة الانكليزية أنها ذات طابع صوفي واتجاه روحاني بحت، فالتصوف طبع تفكير جبران كله كما أنه أكد على غرار المتصوفين بأن الحقيقة المطلقة الخالدة تدرك بالوحي لا بالعقل، ثم إن في النبي نظرة متفائلة إلى الحياة والإنسان إذ لم ير فيهما إلا الخير، مادامت الذات المحدودة والذات العظمى وجهين لوجود واحد، ويستتبع ذلك أن يكون الناس متساوون في الأصل والمصير ولكن تساويا ميتافيزيقيا وهذه هي نظرة الإنسان الكامل عند المتصوفين وقال ابن عربي مثلا بأن الإنسان الكامل هو الجنس البشري غي أعلى مراتبه لم تجتمع كما لات الوجود العقلي والروحي والمادي إلا فيه. والقارئ لكتاب النبي يصعب عليه تحديد بين ما هو فلسفي وما صوفي لأنه هناك بينهما تداخل وتشابك كلي[1]، إذ يجد عبارات وجمل يمكن ردها إلى التصوف وأخرى إلى الفلسفة الميتافيزيقية.

وموقف جبران من الوجود كان موقف المؤمن بان العالم هو تصوري للعالم وان العالم المادي ليس سوى وهم يحجب الحقيقة المطلقة، فأقصي سعادة يطمح إليها الصوفي هي أن ينمي حسه الروحي حتى لا يعود يرى غير الله جوهرا متغلغلا في كل مادة، فيدرك في لحظة الكشف الكامل وحده الذات والموضوع والوجود وما يؤكد هذا هو قول النبي:<<عندما تقيلون بين التلال، في الظلال الناعمة التي يطرحها الحوار الأبيض، متمعنين بسكينة الحقول والمروج البعيدة وطمأنينتها عندئذ لتقل قلوبكم في صمتها: إن الله ليستريح في العقل.[2]

وعندما تهب العاصفة وتهز الريح العاتية جذور الأشجار في الغاب، ويعلن البرق والرعد عظمة السماء عندئذ لتقل قلوبكم بخشوع ورهبة إن الله ليتحرك في الهوى.

[1]-المرجع السابق، ص 29.

[2]-جبران خليل جبران، أنطونيوس بشير، ص 73.

<<وما دمتم نفسا في فضاء الله، وورقة في غابته فحري بكم أنتم كذلك أن تستريحوا في العقل وتتحركوا في الهوى>>.[1]

والجوهر والغرض كلاهما واحد في نظر جبران وإذ يكشف هذه الحقيقة التي تنطوي عليها الوجود البشري كله، فإنه يبدي محبته الكلية للبشر، واعتزازه بالانتماء إليهم فلولاهم لما تملكه الحب الشديد للحياة إذ يقول على لسان نبيه:<<فقد أعطيتموني تعطشي الشديد للحياة>>.[2]و العطية التي جعلته يتحرق شوقا إلى الينبوع الذي انبثقت منه جميع المخلوقات ألا وهو الروح الكلي الخالد، ضمير كل شيء وهو ما يترجمه قول النبي:<<إنه ما ممن عطية في هذا العالم أجزل فائدة للإنسان من العطية التي تحول كل ما في كيانه من الميول والرغبات إلى شفتين محترقتين عطشا وتجعل حياته جميعا ينبوعا حبا باقيا>>[3]،ذلك أن غاية هذا العطش أو الشوق هو بلوغ الوحدة الشاملة، ومنها التوحد بالإنسان في كل زمان ومكان، حيث يبلغ الفرد الجبراني ذروة ارتفاعه ومعه ترتقي الحياة الإنسانية وتحقق كما لها النهائي ولنبي هو درجة في هذا الارتقاء والتي جعلت أهل أورفليس يغدون له أنصارا وأتباعا ينشدون مثاله الأخلاقي.[4]

ذكرنا فيما سبق بأن جبران نهل من الفلسفة الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة، ومن المعتقدات البوذية، والديانة الهندوسية والتصوف الإسلامي، هذا الأخير الذي اشتمل على القرآن الكريم وبلاغته وفصاحته وقوة أفكاره ومعانيه وكذلك على أعلام التصوف الإسلامي المشهورين أمثال أبي الفارض والحلاج وابن عربي وكذلك بفلاسفة المسلمين أمثال الغزالي هذا الأخير الذي يشيد به جبران وبمنهجه في الحياة

[1]-سعيد مكروم، الرؤيا الصوفية للعالم والحياة إنسانية في النبي لجبران خليل، ص 61.

[2]-جبران خليل جبران، أنطونيوس بشير،ص 113.

[3]-جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 55.

[4]-سعيد مكروم، الرؤيا الصوفية للعالم والحياة الإنسانية، ص 61.

فيقول بعجب:<<اعتزل الغزالي الدنيا وما كان له فيها من الرخاء والمقام الرفيع وانفرد وحده، متصوفا متوغلا في البحث عن تلك الخيوط الدقيقة التي تصل أواخر العلم بأوائل الدين متعمقا في التفتيش عن ذلك الإناء الخفي الذي تمتزج فيه مدارك لناس واختباراتهم بعواطف الناس وأحلامهم>>[1]، وعن فكر الغزالي يقول جبران مؤكدا لنا ما عليه من ثقافة وإطلاع فلسفي وأدبي قائلا:<<وجدت في الغزالي ما يجعله حلقة ذهبية موصلة بين الذين تقدموه من متصوفي الهند والذين جاءوا من الآلهيين، وفيما بلغت إليه أفكار البوذيين قديما شيئا من ميول الغزالي>>.[2]

فجبران استدعى الكثير من آراء الشخصيات الصوفية لعربية الإسلامية، ليعيد بعث فكرها من جديد لأنه يرى في ابن الفارض والغزالي والحلاج وابن العربي... أعلام التصوف لأنهم يمثلون له الثراء الصوفي المعرفي، ولأن تعاليمهم ورآهم الصوفية ذات مرامي إنسانية سمحاء تنبذ الفكر المتعصب وتدعو إلى المحبة.

ويضيف قائلا عن تأثره بابن الفارض الشاعر الصوفي المصري:<<كان عمر بن الفارض شاعرا ربانيا، وكانت روحه الظمآنة تشرب من خمرة الروح فتكسر ثم تهيم سابحة مرفرفة في عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشاق وأما في المتصوفين ثم يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيات لتذوق ما رأته وسمعته بلغة جميلة مؤثرة>>.[3]

وتقول تائية ابن الفارض التي تأثر بها جبران[4]

وما عقد الزنار حكما سوى يدي *وإن حل بالإقرار بي فهي حلت

---

[1]- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص 94.

[2]- المرجع نفسه، ص 96.

[3]المرجع السابق، ص 96.

[4]ابن الفارض، ديوان ابن الفارض، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، 1410ه _ 1990، ص 80 _ 81.

وإن نار بالتنزيل محراب مسجد *فما بار بالإنجيلهيكل بيعه

وأسفار توراة الكليم لقومه* تناجي بها الأحبار في كل ليلة

وإن خر للأحجار في البد عاكف *فلا وجب للإنكار بالعصبية

كما تغنى بها قبل جبران ابن عربي أكبر لشعراء الصوفية في أبيات شعرية.(1)

لقد صار قلبي قابلا كل صورة * فمرعى لغزلان، ودير لرهبان

وبيت لأوثان، وكعبة طائف * وألواح توراة، ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت * ركائبه فالحب ديني وإيماني

وهذه بعض المفردات والمصطلحات الصوفية ذات المعنى الروحي الصوفي الموجودة في كتاب النبي مستقاة من التصوف الإسلامي والتصوف العام مع شرحها في معاني التصوف الإسلامي:

الكلمة في كتاب النبي	شرحها بالمعاني الإسلامية ومفاهيمها
الحب (جبران خليل جبران، النبي، نازل سابا يارد، ص 49 _ 93_ 104.	هو التجلي الدائم الذي لا ينقطع وهذه وأعلى مقام لي الحق فيه لعبادة العارفين وأوله تجلي الذوق، أو الحب ثلاث مراتب، حب طبيعي وهو حب العوام وحب المقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمى بالودود وفي الخير بالمحب ومما أوحى الله به إلى موسي في التوراة يا ابن أدم إني وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا

(1) جبران خليل جبران، النبي، ثروة عكاشة، ص 36.

نار: أضاء ،

التنزيل: الوحي،

محراب: مكان التوجه للصلاة، مقام الإمام من المسجد، بار: هلك، الأحبار: الكانسون، أي علماء اليهود والواحد منهم يسمى حبر.

عاكف: العازم على الأمر والمواظب له.

العصبية: القرابة المتصلة بالنسب.

	والحب هو خلوصه إلى القلب وصفاؤه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبة والحب ثلاثة أقسام (حب طبيعي ، ينفصل في عالم الملك، وحب روحاني ينفصل في عالم الملوكات وحب حقيقي لا ينفصل إلا في عالم الملك ولا الملكوت ولا في عالم الجبروت) [1]
حجاب (جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 79_ 123_ 132_ 136).	حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طالبه وقاصده. [2] هو كل ما يستر مطلوبك، وهو عند أهل الحقيقة انطباع الصورة الكونية في القلب، المانع لقبول تجلى الحقيقة. [3]
حجب (جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 46)	هو حجب الإشفاق على الخلق من الإحراق فهي الحجب التي تمنع السبعات الوجهية أن تحرق ما أدركه البصر من الخلق. [4]
الحرية (جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 109).	هي الخروج عن رق الكائنات ومرادتها وقطع جميع العلائق وعلامته الحر سقوط التمييز عن قلبه بين أمور الدنيا والآخرة، فلا يسوقه عاجل دنياه ولا أجل عقباه.... والحرية مراتب حرية عامة عن رق

[1]–رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط 01، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 1999، ص 274 _ 275.

[2]–قدور رحماني، أوراق حول الشعر والتصوف، د ط، البديع للنشر والخدمات الإعلامية، الجزائر، د، ت، ص 161.

[3]–رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 278.

[4]–المرجع نفسه، ص 279.0

	الشهوات وحرية خاصة عن رق المرادفات لفناء إرادتهم في إرادة الحق وحرية . [1]
الزهد (جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 91).	هو ترك الدنيا، هو مدرج العموم ومصرع الهموم ثم مرقى الخصوص إلى المقام المعلوم، وحقيقته: الخروج عما سوى المحبوب فإن كان مع قدرة عليه فهو زهد وإن لم تكن قدرة فهو فقد، وحظ الخواطر منه الزهد حتى في الزهد. [2]
أشواق، ص 46 _ 55.	هي التي تحيط بالمحب وتلزمه في حال بعد وقرب. [3]
سكر (جبران خليل جبران، النبي، ص 73)	هو أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء، وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذه وبين أضدادها في مرافقة الحق، فإن غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه. السكر حيرة بين الفناء والوجود في مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم، إذا الشهود تحكم بالفناء والعلم يحكم بالوجود. [4]
الهوى (جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 69 _ 70)	هو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، .... هو غير عين الإرادة وكل مراد إذا حصل لمن أراد فهو ملذوذ للنفس فكل إرادة هي هوى لأن الهوى تستلذه النفوس وما لا لذة لها فيه فليس بهواها، وما سمي هوى إلا لسقوطه في

[1]-المرجع نفسه، ص0 282 _ 283.

[2]-المرجع نفسه، ص 445.

[3]-المرجع نفسه، ص 64.

[4]- قدور رحماني، أوراق حول الشعر والتصوف، ص 171.

	النفس. [1]
النور (جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 45_ 77_ 111_ 136)	النور يشير إلى الظهور والظهر أمر لإضافي: إذ يظهر الشيء لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون ظاهرا بالإضافة وباطنا بالإضافة وإضافة ظهوره إلى الادراكات لا محالة، وأقوى الادراكات وأجلاها عند العوام الحواس، ومنه حاسة البصر،وإلي أشياء بالإضافة إلى الحس البصري ثلاثة أقسام: منها ما لا يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالأجسام المضيئة مثل الكواكب وجمرة النار إذا لم تكن مشتعلة ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به أيضا غيره والقمر والنيران المشتعلة والسراج. [2] النور هو الظاهر الذي ظهرت به الأشياء ومن استقامت. نفسه على التركيز بالطاعات من ظلمة الطبائع، حتى يقابل بنورها نور الروح من الله عليه باستغراق الشهود في المحبة. [3]

ومن التعابير الصوفية أيضا التي وجدت في الكتاب كما جاء في ترجمة أنطونيس بشير كلمة مريديه يقول جبران: أما المعلم الذي يسير في ظل الهيكل، محاطا بأتباعه ومريديه، فهو لا يعطي شيئا من حكمته، بل إنما يعطي من إيمانه وعطفه ومحبته.[4]

[1]- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 113.

[2]- المرجع نفسه، ص 469 _ 471.

[3]المرجع السابق، ص 469 _ 471.

[4]- جبران خليل جبران، النبي، أنطونيوس بشير، ص 78.

وكذلك ورد كلمة المقام، يقول نبي جبران خليل: كما أن لكل منكم مقاما منفردا في معرفة الله إياه، هذا يجب عليه أن يكون منفردا في معرفته لله، وفي إدراكه لأسرار والأرض. [1]

3_ التراث الأدبي:

إن عملية التأثير والتأثر المتبادل، دليل على النشاط والحيوية والابتكار والتفتح لأنها تفتح الطريق أمام الشعوب لمعايشة تجارب جديدة، وبرؤية متطورة.

ومن خلال هذا التأثر والتأثير أخذت كل أمة تسعى إلى أن يصل أدبها إلى العالمية لكن عالمية الأدب هذه لا تتحقق إلا إذا تجاوز حدوده الإقليمية، كما هو الحال عند أدباء المهجر عامة وجبران خليل جبران خاصة في النزعة الإنسانية والدعوة إلى الحرية الدينية وكذلك عندما يخرج الأدب من دائرته الضيقة طالبا كل ما هو جديد ومفيد، وما هذا التأثير بالآداب إلا دعوة إلى التطلع على التجديد، وكسر حلقة التقليد، والدعوة إلى الاستفادة من آداب الأمم الأخرى وأديبنا في كتابه جمع بين ما هو إقليمي وما هو علمي.

غير أننا نجد تأثيره من الناحية الأدبية مرتبط أكثر فأكثر بالأدب الأجنبي العالمي الخارج عن نطاق قوميته.

وهناك تجربتان رئيسيتان لونتا فكر ومزاجه وأقامتا روابطه الفكرية والروحية بينه وبين الكتاب والأدباء هما تجربتا الحب والغربة، وهذه الأخيرة مهدت له الطريق للتعرف على أعلام الأدب الغربي المشهورين من الرومانسيين خاصة ولت ويتمان وشكسبير غير أن هذا الأخير الذي يلقب بشاعر الوطنية الشاعر والكاتب الانجليزي كان له التأثير الأكبر على جبران من خلال مسرحيات الرومانسية التي تتحدث عن ألم الفراق بين المحبين، ثم اللقاء ولم الشمل، والتي تتعلم فيها الشخصيات من أخطائها

---

[1]– المرجع نفسه، ص 79.

وتغير من مواقفها إلى الأفضل والأحسن، وكذلك نجده متأثرا ببعض أقوال شكسبير المشهورة.

لكننا عندما نتمعن جيدا في مضمون الكتاب لا يكاد يتضح لنا جيدا هذا التأثير الأدبي مباشرة وبصورة واضحة فرغم اطلاع جبران على أعمال أدبية أخرى تخدمه لا يرى فيها منبعا فكريا له لأنه دائما يرى نفسه أنه هو القائد والرائد الأول في كل ما يقوله.

ولهذا تقول عنه مي: <<هي شخصية عالمية مستأثرة أنانية .... فهي قبل أن تعرب عما يخالجها تسلف حذف وجود شخصيات غيرها، ولا تستمد إلا من حسها الفردي الذي تحتاجه تيارات الحياة وتنعكس عليه صور الوجود.... وقلت إن تلك الشخصية أنانية، وأقول إنها تزداد أنانية كلما أرهق تطورها واستؤنف نموها، لأنها تفحم الشخصيات الأخرى عن طريق شعورها بها، فتتناول كل شخصية صالحة كانت أو طالحة وتصورها بعملية فكرية لتمزجها بالجانب المشابه من شخصية جبران الكاتب المصور>>.[1]ثم تضيف قائلة:<<أرأيت مرة في كتابات جبران استشهادا بكاتب أو بشاعر عظيم؟ قد تعثر على مثل ذلك في كتاباته الأولى باللغة العربية أما بعد ذلك فلا ! مع أني واثقة ومضمون كتابته ناطق بذلك) من أنه لم يهمل التنقيب والاطلاع، ويساير الحركة الفكرية في العالم في شتى مظاهرها غير أنه لا ينسى اقتناعه ذاك من انه متبوع لا تابع، قائد لا مقود، تظهر معلوماته المستوحاة من كتب الآخرين وأقوالهم في الحرف من كتاباته وإن هي تلخصت في المعنى الصميم، لأن أنانيته تحول كل ما يتصل بها إلى جزء منها، ثم تخرجه على القرطاس وكأنه إلهام شخصي لم يظفر به من قبل أحد وهذه هي روح الفن السحري>>.[2]

---

[1]– جبران خليل جبران، النبي، ثورة عكاشة، ص 30.

[2]– المرجع السابق، ص 31.

وجبران تأثر برومانسية شكسبير التي قامت على أساس العاطفة النابعة من القلب، والإحساس بالذوق الجميل.

ومن بين الأقوال والعبارات المأثورة التي تتقاطع في معانيها ما بين الأدبين، مثلا قول شكسبير في الحب:<< يمكن عمل الكثير بالحق لكن بالحب أكثر، لكن الحب أعمى والمحبون لا يستطيعون أن يروا الحماقات الصارخة التي يرتكبونها بأنفسهم>>.[1]

ويقاربها في كتاب النبي قول جبران عن الحب في مواعظ للحب والعمل والوداع: <<تتغير حاجات الإنسان ولكن حبه لا يتغير، ولا رغبته في أن يقضي الحب حاجاته .... إن العمل محبة كانت خفية غابت للعيان .... إذا الحب لفكم بجناحيه فاطمئنوا إليه، حتى وإن جرحتكم النضال المخبوءة تحت قوادمه>>.[2]

وكذلك تكلم كل من شكسبير وجبران في نفس المواضيع تقريبا ك: الزواج، والصداقة، والعطاء، الجريمة والعقاب، والقانون... ففي الجريمة والعقاب مثلا في معنى حديثهما وأقوالهما تحدثا عن شجاعة المدان ومدى تحمله الظلم، وما هذا إلا من الأخلاق النبيلة فيقول جبران في هذا الصدد:<< أجل كثيرا ما يكون المجرم ضحية من وقعت عليه جريمته.

وكثيرا ما يكون المدان حاملا لأثقال الذين لم يدانوا قط ولا التصقت بهم همته>>.[3]

ويقول شكسبير:<< ليس من الشجاعة أن تنتقم، بل أن تتحمل وتصبر>>.[4]

ومن أوجه التراث الأدبي الأخرى التي استقى منها جبران أفكاره لتجسيدها في كتاب النبي تأثره بالمدرسة الرمزية والمدرسة الرومنسية.

---

[1]- المنتدى العام، (منتدى أدبي شبكة الانترنت)، الثلاثاء 21 أفريل 2015، الساعة 16: 19.

[2]- جبران خليل جبران، النبي، ثورة عكاشة، ص 49 _ 106 _ 123.

[3]- المرجع نفسه، ص 117.

[4]- المنتدى العام، (منتدى أدبي_ شبكة الانترنت).www.omferas.com

فمن خلال تأثره بهذه المدارس برز عنده ما يسمى بـــ :"الأسلوب الجبراني" أو الإنشاء الجبراني وقد أحدث جبران بأسلوبه التعبيري ويخايله الرقيق وعباراته البسيطة الغنية بالموسيقي هزة في العالم العربي والغربي، فتفتحت لها نفوس الأجيال الجديدة، أصحاب الأقلام المبدعة، فاندفعوا إلى تقليد لغة جبران وأسلوبه الخيالي،لما استعماله من تعابير وألفاظ جديدة واستعارات وتشابيه وكنايات التي لم يألفها العرب من قبله وكمثال لهذه العبارات والكلمات الموجودة في كتاب النبي نذكر منها: "حبا أخرس الحب لفكم بجناحيه، قلوب مجنحة، أجنحة الموت البيض، حبكم بحرا مائجا شواطئ نفوسكم، أشواق الحياة وبناتها، لذة العطاء، لتطفئوا ما بكم من عطش، مواليد السهل والغاب، من يتكلم هو جسدكم الأكبر، شتاء أخزانكم، قفص من الكلام ....".

ومن مظاهر هذه المدرسة المتجسدة في كتاب النبي كذلك بروز الإبداع الذاتي الخاص بجبران، حيث تغني بمشاعره وخواطره مازجا فيها الطبيعة، وهذا ما يسمى بالخلق والإبداع، وعند قراءة النبي نجد مفردات الطبيعة دائمة الحضور وبقوة في كل المواضيع التي عالجها ومن بين هذه المفردات التي وردت في كتاب النبي "البحر، الضباب، التلال، الليل، النهار، الريح، الهواء، النهر، الجدول، الغابة، المحيط، الحقول، النور، الأرض، السنابل، السماء، الشواطئ، السنديانة، التربة، الرمال، الماء، السهل، الكرمة، الشمس، التفاحة، الأودية، المروج، الخشب، الحجر، الجبال، الفضاء، العاصفة، البرق، الرعد، النجوم، الجذور الأفاعي......"

ومن الخصائص الرومنسية الأخرى التي أخذ بها كاتبا وشاعرنا أيضا طغيان الجانب الذاتي حيث نجده دائما يتكلم بضميره هو وفكره لا بضمير الجماعة وأفكارهم وهذا ما رأيناه عندما يبدأ بطرح المواضيع، مثلا يقول في الجريمة والعقاب:

<<كثيرا ما سمعتكم تتكلمون عمن يقترف جرما بينكم كما لو كان ليس منكم وكما لو كان غريبا عنكم ودخيلا على دينكم.

إلا أنني أقول لكم إنه نظير ما يتعذر على البار والصديق أن يسمو فوق الأبعد والأعلى فيكم>>.[1]

ويقول في الزواج: <<أجل وستكونون معا حتى في صمت ذاكرة الله ولكن ليكن في اتصالكم فرجة انفصال، وليكن مجال لرياح السماء أن ترقص في ما بينكم>>.[2]

وغيرها كثيرا من ملامح الرومنسية الدالة على رومنسية جبران، يقول عنه ثروة عكاشة لقد كان جبران رومانسيا، وإن ظهر متأخرا عن الرومنسية، إذ وجد في تراثهم الزاد الذي يجتذب به وبأسره، وجد فيه صور لنفسه وفكره ومزاجه، وجد فيه غذاء روحه الذي أقبل عليه يتمثله في حب وصبر، ويمزج به تجربته الذاتية، ويتفاعل معه بأفكاره وملاحظاته وتأملاته، ثم يبدع هو الأخر أدبا فيه روح الرومانسيين وفكرهم، وفيه إلى جانب ذلك شخصيته هو المتميزة الفريدة لتي تبرز متألقة كأنها روح نبي يهمس بالحكمة ويبث السلوى ويحرك الأمل.[3]

ويعتبر المذهب الرومنسي بالنسبة لأدباء المهجر المتنفس الذي يعبرون من خلاله عما تجيش به صدورهم من ضيق، ويظهرون به آمال شعوبهم في الحرية والعيش الكريم والعدل والمساواة.

أما عن رمزية جبران فكان يتكلم بالرموز كثيرا في جمله البسيطة والواضحة في حكمه التي بثها عميقة النظرة وبعيدة المرامي، حيث كان لهذه الرموز الأثر الكبير في نشر وبث الأسلوب الجبراني، وأكثر الرموز المستعملة في كتابه هذا هي رموز الطبيعة.

---

[1]-جبران خليل جبران،النبي،نازك سابا يارد، ص 116.

[2]- المرجع نفسه، ص 53.

[3]- جبران خليل جبران، النبي، ثروة عكاشة، ص 34.

كقوله في موضوع الوداع:<< والإنسان الشاسع فيكم يشبه سنديانة عتية مكسوة بأزهار التفاح>>[1]،والسنديانة ترمز إلى العلو والشرف والنبل والقوة، لما في خشبها من قوة في الصلابة وارتفاع ملفت للأنظار فهو يستعمل الرموز بشفافية ووضوح ليعطي الناس ويبن لهم أسرار الحياة والوجود كما يراها هو في فكره ونظره وإحساسه.

أما من باب تأثره بالأديب الأمريكي والت ويتمان فكان من الناحية الشعرية أكثر منه من الناحية النثرية، فبحكم وجود جبران وصديقه أمين الريحاني في بلاد الغربة الأمريكية، وبحكم إتقانهما للغة الانجليزية توفر لهما الاطلاع على أعمال ويتمان وهذا الأمر هو الذي فتح المجال أمام الريحاني وجبران لابتكار نمط الشعري جديد أسموه النثر الشعري ذو العبارة الموسيقية القصيرة، وهو ما يدعونه بالشعر المنثور.

وقد جمع الريحاني نصوصه التي كتبها متأثرا بويتمان في كتاب عنونه باسم نهج الأدوية و الذي يعده النقاد أول ديوان في الشعر المنثور في الأدب لعربي وتبع جبران الريحاني في تأثره بويتمان وسار على نهجه، ونجد تأثره هذا واضحا في كتاب النبي؛ لأن هذا الأخير هو عبارة عن مزيج بين نمطين في الكتابة، الكتابة النثرية، والكتابة الشعرية وكمثال وتوضيح لهذا نختار قول نبي جبران في موضوع الغذاء.

"وإذا انتهش أحدكم تفاحة فليقل لها في قلبه

إن بذورك ستحيا في جسدي

وإن براعم غدك ستتفتح في قلبي،

وسيكون أريجك في نفسي، ومعا سنفرح على مدى الفصول "[2]

ويضيف قائلا في موضوع الجريمة والعقاب:

"إن القتيل ليس بغير مسئول عن قتله

---

[1]- جبران خليل جبران، النبي، نازك سابا يارد، ص 129.

[2]- المرجع نفسه، ص 62.

وإن المسلوب ليس بغير ملوم في سلبه

وإن الصديق ليس بريئا من صنائع الشرير

ولا أبيض اليدين غير ملوث بقذارة المجرم "[1]

ويقول كذلك في موضوع اللذة:

"**ولكنها ليست الحرية**

وهي أزهار رغباتكم

وليس الثمار

وهي غور يتطلع إلى قمة،

وهي الطائر وقد بسط جناحيه

ولكنها ليست الأجنحة التي تلف الفضاء "[2]

من خلال ما سبق في هذا الفصل ومع قراءتنا المتعددة للكتاب يتضح لنا بأن جبران لم يستحضر كل أنوع التراث التي ذكرناها في الفصل النظري فالأنواع التي كانت الأكثر حضورا فيه هي التراث الديني التراث الصوفي و الأدبي لأن الكتاب كان بعيدا كل البعد عن التاريخ لأحداث أو شخصيات هامة، أو التعريف بتراث شعبي لأمة من الأمم أو التحدث عن أساطيرها، لأنه يحمل مضمون ديني مثالي تأملي وصوفي فلسفي وحكمي أكثر من أي مضمون آخر، مع إشراقات اجتماعية تحث عن القيم في المجتمع كالزواج والبيع والشراء الأولاد الجريمة والعقاب كما أن الكتاب مشبع أيضا بالروح الطبيعية المحبة، الروح المثالية الخالية من الأنانية والغيرة والتسلط وحب التملك ومثاليته هذه طبعت كل آرائه الاجتماعية.

---

[1] المرجع السابق، ص 117.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

زيادة على هذا يتضمن الكتاب أيضا نظرة تفاؤلية في حركة الوجود بتفاؤل الصوفي ووحدة الوجود التي لا تتحقق إلا بزوال المتناقضات كما يرى جبران الذي جعل من الحب ناموس الحياة وأساس استمرارها وتجددها الروحي المثالي الذي يتجلى في حنين الإنسان الدائم إلى مصدر وجوده، حيث استهل مواعظ النبي بالتحدث عن الحب مبينا أنه جوهر الحياة وأن من أدرك هذا الجوهر يكون قد أبعد نفسه من الوهم وصولا إلى الحقيقة المطلقة.بل إلى أقصى درجاتها وهو الاتحاد الذي يقودنا إلى الحيلولة الصوفية يقول جبران: << كل ذلك يفعله الحب فيكم كما تتكشف لكم أسرا قلوبكم فتصبحوا بعضا من قلب الحياة>>.(1)

وجبران هنا متأثر بالتيارات الفكرية الرومنسية الصوفية في معظم وأغلب مؤلفاته الانجليزية مضيفا في كتابه هذا الرمزية الحسية بواسطة الأمثال والصور التمثيلية فحين أنكر المصطفى مثلا الفرق بين الخير والشر ضرب مثلا بالعلاقة بين الثمرة والجذر قائلا "من الأكيد أن الثمرة لا تستطيع أن تقول للجذر كن مثلي، ناضجا ومليئا بالحلاوة، وأعط أبدا من بحبوحتك بغير حساب" لأن العطاء حاجة من حاجات الثمرة، مثلما الأخذ حاجة من حاجات الجذر.(2)

فهذا التنويع في التراث عند جبران يدل على براعة إنجازه ونتاجه الذي كان يعزف به بالقلم على آلة العقل لوضع سنفونية تنشد بإيقاع الكلمات والخطوط والعبرات لفهم أسرار الوجود كما أن كتاب المصطفى هو ذاته كتاب يعلم الحكمة والحياة والإنسانية لذا اشتمل في تراثه على الدين والتصوف الفلسفي إن جاز التعبير.

1- المرجع السابق، ص 50.

2- المرجع نفسه، ص 101.

الخاتمة

الخاتمة:

وما نخلص إليه في دراستنا لموضوع توظيف التراث في أدب جبران خليل جبران من خلال كتابة "النبي"، والتي كان الهدف منها تبيين أنواع التراث الذي استحضره جبران في كتابه، ولا شك بأن هذه الدراسة متشبعة بالروح الإنسانية والقيم الفكرية والأدبية وبالتالي فإن أهم ما توصلنا إليه:

- أن جبران من أبرز أدباء المهجر المبدعين الذين تعددت منابعهم الفكرية ومرجعياتهم الفلسفية والأدبية، حيث نهل من الأدب الأوربي، والمذهب الرومنسي والاتجاه الرمزي، وكذلك من فلسفة الشرق، واليونان والفلسفة الإسلامية، ومن التصوف وخاصة الإسلامي، واستمد أفكاره كذلك من مرجعيات دينية تمثلت في الديانة المسيحية (الإنجيل والمسيح عليه السلام)، والدين الإسلامي (القرآن الكريم والنبي محمد صلى الله عليه وسلم) الذي كان اسم الكتاب باسمه، وببعض المعتقدات الأخرى كالشرقية.

- وأن جبران كغيره من أدباء المهجر تميز بخصائص مدرسة المهجر كالنزعة الإنسانية، والتأمل، وحب الطبيعة، والبساطة في التعبير، والحرية الدينية، والتميز بالأسلوب الغني والطابع الشخصي، هذه الخاصية الأخيرة التي ولدت عنده ما يسمى "بالأسلوب الجبراني" الذي كان خاصية يتميز بها جبران عن باقي أدباء المهجر شمالا وجنوبا.

- كما توصلنا أيضا إلى أن التراث هو كل إبداع فكري وإنتاج حضاري وتاريخي تفتخر وتزخر به كل أمة، لأنه يمثل أحد الآثار القيمية والروحية والمادية لها، وهو اعتراف بما حققه الماضي في الحاضر، وما يمكن أن يحققه الحاضر في المستقبل من خلال طاقات إبداعية إنسانية.

- وللتراث أنواع هي: التراث الديني، الصوفي، التاريخي، الأدبي، الشعبي، الأسطوري.

- وقد أدت إلى توظيف التراث دوافع عدة أهمها: العامل الفني الذي ينحصر في ثراء التراث بالنصوص التعبيرية ذات المعطيات والنماذج التي ترتبط بروح الأمة فكريا ووجدانيا. كذلك الدافع النفسي الذي يعد من أهم منطلقات العمل الإبداعي لأنه يمثل مصدر الإلهام والتعبير.

- وتوصلنا أيضا إلى أن الموقف من التراث انقسم إلى ثلاثة أصناف فالأول محافظ، والثاني مجدد رافض، والثالث إنتقائي يقف موقف الوسط.

- استحضر جبران ثلاثة أنواع من التراث والتي كان لها البروز الأكثر في كتابه، فيأتي التراث الصوفي بالدرجة الأولى، ثم يليه التراث الديني إذامتاح رموزه الدينية من الإنجيل لكونه مسيحي، ومن القرآن، وكذلك من المعتقدات الدينية الشرقية كالفارسية والهندية لإيمانه بوحدة الأديان.

- ويليها التراث الأدبي الذي استمده من أديبين بارزين في الأدب الغربي هما "ويليم شكسبير" و"ولت ويتمان". حيث وظف هذه الأنواع توظيفا يتماشى مع طبيعة فكره، وقد كان لهذه الأنواع دور في إضفاء الجمالية الدينية والأدبية والصوفية على الكتاب في توظيف الأسلوب الإنجيلي والقرآني والأدبي المتمثل في نمط الكتابة الشعري النثري الحامل لجماليات الكتابة النثرية في صورتها البسيطة السهلة، والكتابة الشعرية في صورتها المصورة والمعبرة.

- كما أراد جبران أنييث أفكاره الأدبية بقالب فلسفي ديني وصوفي يحمل صبغة تراثية فكرية متعددة، وهذا راجع إلى ثقافته الواسعة المتشبعة بالروح الإنسانية التي جعلته متحررا من القيود الإيديولوجية والمذهبية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ_ المصادر:

_ القرآن الكريم.

_ الإنجيل.

1-ابن الفاض، ديوان ابن الفارض، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410ه _ 1990.

2-ابن منظور، لسان العرب، مجلد 02، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992.

3-جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، تقديم وإشراف ميخائيل نعيمة، ط 03، دار صادر، بيروت، لبنان، 1996.

4-جبران خليل جبران، النبي، ترجمة أنطونيس بشير، د ط، دار تلانتيقيت للنشر، بجاية، الجزائر، 2003.

5-جبران خليل جبران، النبي، ترجمة وتقديم ثروة عكاشة، ط 03، دار المعارف، مصر، 1975.

6-جبران خليل جبران، حديقة النبي، دراسة وتحليل نازك سابا يارد، د ط، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008.

7-جلال الدين محمد بن أحمد السيوطي وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلاليين للقرآن الكريم، تحقيق صيري محمد موسى ومحمد فايز كامل، ط 03، دار الخير للقرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1423ه_ 2003.

8-رفيق العجم، "موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي"، ط 01، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1999.

9-محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق ومراجعة نواف الجوارح وسمير شمس، ط 01، دار الأبحاث للترجمة والنشر، تلمسان _ الجزائر_ ، 2011.

قائمة المراجع:

1-إحسان عباس، باتجاهات الشعر العربي المعاصر، د ط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، د ت.

2-أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ط01، دار الأفاق العربية، القاهرة مصر، 2007.

3-أدونييس، الثابت والمتحول بحث في الاتباع والابداع عند العرب، ج 03، ط 01، دار العودة، بيروت، لبنان، 1978.

4-أشرف صالح محمد سيد، البحوث والدراسات الإنسانية والإجتماعية، د ط، مؤسسة النور للثقافة والاعلام، د ب، 2009.

5-أماني عبد الجواد، التراث في مسرح مهدي بندق الشعري، ط 01، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2008.

6-أنطوان القوال، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران (نصوص خارج المجموعة)، د ط، دار الجيل، لبنان، 2002.

7-بوجمعة بوبعيو، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث، ط 01، مطبعة المعارف، عنابة، 2007.

8-جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، د ط، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهرتن، الجزائر، 2007.

9-حسن نافعة وكليفورد حسين وإحسان صديقي العمد، د ط، عالم المعرفة، الكويت،دت.
10- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ط 01، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986.
11- خليفة محمد التيلسي، الشابي وجبران، ط 04، الدار العربية للكتاب، د ب، 1978.
12- سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، إسلاميات أحمد شوقي، د ط، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر، د ت.
13- سعيد شوقي/ محمد سليمان، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ط 01، إتيراك للنشر والتوزيع، مصر، 2000.
14- سعيد محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
15- سعيد يقطين، السردج العربي مفاهيم وتجليات، ط 02، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006.
16- شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، د ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.
17- عبد السلام هارون، قطوف أدبية، ط 01، الدار السلفية للنشر، د ب، 1988.
18- عبد الله التطاوي، التراث والمعارضة عند أحمد شوقي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت.
19- على عشرى زايد، إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417 ه- 1997م.
20- عيسى الناعوري، أدب المهجر، ط 01، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993.

21- غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، ط 01، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 1997.
22- فريدة سويزف، توظيف التراث في الشعر عبد الصبور، مجلة عود المدى(المجلة الثقافية الشعرية)، العدد 114، الجزائر، د ت.
23- فريدريك نيتيشه، هكذا تكلم زراداشت، ترجمة ريما ماجد علاء الدين، ط 01، دار رسلان، دمشق، سوريا، 2006.
24- فهمي جعدان، نظرية التراث، ط 01، دار الشروق، عمان، الأردن، 1985.
25- قدور رحماني، أوراق حول الشعر والتصوف، د ط، البديع للنشر والخدمات الإعلامية، الجزائر، د ت.
26- كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ج 02، ط 01، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2003.
27- كامل محمد محمد عويضة، أفلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414ه _ 1993.
28- كاملي بلحاج، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، د ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
29- ماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا حامد عطر، ط 01، منشورات الجمل كولونيا، بغداد، 2006.
30- ماسينيوس ومصطفي عبد الرزاق، التصوف، ط 01، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984.
31- محمد بوزواوي، معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009، د ط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009.

32- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، د ط، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002.

33- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)، ط 01، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1991.

34- محمد عبد الله الهادي، التراث بين القطيعة والتواصل، د ط، دار ناشري للنشر الالكتروني، د ب، 2005.

35- معجب العدواني، الموروث وصناعة الرواية، ط 01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1434ه – 2013م.

36- ميخائيل نعيمة، الغربال، ط 15، دار نوفل، بيروت، لبنان، 1991.

37- نسيب نشاوي، مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

38- نظال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، د ط، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001.

39- نور الهدى الكتانني، الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد المؤرخين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

40- هوربرتهيركومر، صورة الإسلام في التراث الغربي (دراسات ألمانية)، ترجمة ثابت عيد، تقديم محمد عمارة، د ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1983.

القواميس والمعاجم:

1-سهيل إدريس، المنهل (قاموس فرنسي عربي)، ط 45، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2013.

Ga wikeswakrebs, collins « conciseditionary », 4 edition, librairie du -2
libanpublishers, birut-lebanon, 1999, p672.
Marlénedelbeken, larousse « dictionnaire », direction de la publication -3
chantalambrechts, paris cedex, 2008, p12.

مذكرات:

1-حصة بنت زيد سعد المفرج، توظيف التراث الأدبي في القصة القصيرة في الجزيرة العربية (رسالة ماجستير)، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2005.

المجلات:

1-سعيد مكروم، الرؤية الصوفية للعلم والحياة الانسانية في النبي لجبران خليل جبران، مجلة حوليات التراث، العدد 02، كلية الأدب والفنون، جامعة مستغانم، 2004.

2-طراد الكوبيسي، (التراث العربي) ، مجلة الموسوعة الصغيرة، العدد 12، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978.

3-فاطمة دواد، (التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله)، مجلة حوليات التراث، العدد 01، جامعة مستغانم، الجزائر، 2004.

من شبكة الانترنت:

www-samitah.net-1

- مقال صادر عن سعد العراقي، التراث وأهميته في حياة الأمم والشعوب، منتديات فرسان الثقافة، يوم الاثنين، 12 أفريل 2015، الساعة 10:00.

- مقال صادر عن محمد محمد، ماهية وأهمية التراث يوم الاثنين، 12 أفريل 2015، الساعة 10:00. مقال صادر عن عبد الرحيم حمدان، استدعاء التراث الأدبي في تجربة فوزي الشعرية، ديوان العرب (منبر للثقافة والفكر والأدب)، 18 تشرين الثاني 2010.

2-www.omferas.com، المنتدى العام (منتدى أدبي)، الثلاثاء 21 أفريل 2015، الساعة 19:16.

الملحق

الملحق:

1_ جبران خليل جبران: مولده وحياته

ولد جبران خليل جبران في بشرى، في 06 كانون الثاني سنة 1883م[1]، هاجر إلى أمريكا 1895 عبر مصر، وفرنسا وبلجيكا...، ثم عاد إلى لبنان وهو ابن 15 سنة،فبقي أربع سنوات ونصف، وقضى نصفها في معهد الحكمة، يتلقى بعض علومه العربية والفرنسية ثم عاد إلى أمريكا 1903 وقضى في بوسطن نحو 05 سنوات وهناك عرف ماري هاسكل وهي امرأة تكبره بعشر سنوات، فحنت عليه وأمدته بمال، ثم بعثته إلى باريس على نفقتها لدراسة فن الرسم، والنحت والتصوير، مدة ثلاث سنوات[2] ويواصل جبران مسيرة حياته وطموحه وفنه.

ويعرف جبران وهو في فرنسا علاقة مميزة مع آنسة إيطالية اسمها **ميثلين** ثم مع أخرى رافقته في السنوات الأخيرة من عمره، وهي **بربارة يونغ** وينعم بقدر من تألق شهرته في العالم الأمريكي، وفي البلاد العربية لاسيما بعد نشره المتكرر لكتابه "النبي" وترجم هذا الكتاب إلى أكثر من لغة معروفة. ويحس بالمرض يقوى في جسمه فيضاعف جهده لينجز تأليف أو وضع أكثر من كتاب مرة واحدة. ويجدّ في إنشاء كتاب حديقة النبي ويوفق في ذلك ولكنه لم يتسنلهنشره .... ويكتب جملة واحدة في مشروع كتابه **موت النبي** ويمنعه المرض من مواصلة الكتابة، وبعدها وافته المنية في 10 نيسان 1931.

2_ أسلوبه:

لم يكن جبران يجرى على طريقة واحدة في أسلوب الكتابة، فهو حينا يكتب خيلا عاطفيا مجردا، وحينا أحاسيس واقعة عميقة، وطورا يخاطب الناس بالأمثال والرموز والحكم، والمواعظ الروحية، وطورا بأسلوب التعنيف القاسي، وتارة يكتب شعرا فلسفيا

1– جبران خليل جبران، حديقة النبي، ص 07.

2–كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ص 362.

تأمليا وتارة نثرا شعريا موسيقيا، غير أن كل هذه الأساليب كانت تفيض شخصية متميزة في تفكيرها وخيالها وروحها وبيانها....[1]

ويقسم الأسلوب الجبراني إلى إيقاع، ولغة وصور،أما إيقاع أسلوبه النثري فقد حتمه أمران: رغبته في الوعظ، وورومانسيته فأما رغبته في الوعظ فربما هو الروح التي دفعت به إلى الكتابة بالأسلوب التوراتي؛ أي باستخدام أساليب الاستفهام والنداء والتكرار. وأما العنصر الرومانسي فهو الذي فرض ذلك الأسلوب الحر الذي يبدو طبيعيا جدا في أسلوبه النثري.[2]

فهو ذو أسلوب تصويري، ينتزع صوره ومشاهده من الطبيعة، وهذه مزية تفرد بها جبران في أدبنا المعاصر.[3]

واعتمد جبران عدة أساليب للتعبير عن فكره منها أسلوب القصص القصير، وأسلوب المثل، وأسلوب التأمل، وكان في كل ما كتب متأثرا بالتوراة والإنجيل فكرا وأسلوبا.[4]

3_ أدبه:

امتاز أدب جبران بقيامه على الصدق الشعوري والانفعال الحاد، والاعتماد على سلطة الأداء وقوة الإيحاء.[5]

وحياة جبران الأدبية مرحلتان: مرحلة ما بين 1905 و1918، وهي المرحلة التي كتب فيها باللغة العربية أما المرحلة الثانية؛ أي مرحلة ما بين 1918 و1931 فكانت

---

[1]- محمد بوزواوي، معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1998 إلى 2009، ص 155 _ 156.

[2]- سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص 140.

[3]- خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، ص 53.

[4]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 227.

[5]- خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، ص 53.

معظمها للكتابة باللغة الإنجليزية، وقد وضع فيها جبران ثمانية كتب نشر منها ستة في حياته....[1]

4_ مؤلفاته باللغة العربية والانجليزية:

أ_ المؤلفات العربية:

_ الموسيقى (1905).

_ عرائس المروج (1906).

_ الأرواح المتمردة (1908).

_ الأجنحة المتكسرة (1912).

_ دمعة وابتسامة (1914).

_ المواكب (1919).

_ العواصف (1920).

_ البدائع والطرائف (1923).

ب_ المؤلفات الانجليزية:

_ المجنونTHE MADMAN (1918).

_ السابقTHE FORERUNNER (1920)

_ النبيTHE PROPNEET(1923).

_ رمل وزبدSAND AND FOAM(1926).

_ يسوع ابن الإنسانJESUS SON OF MAN (1928).

_ آلهة الأرضTHE EARTH GODS (1931).

_ التائهTHE WANDERER (1932).

_ حديقة النبي THE GARDEN OF THE PROPHET (1933).

---

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 226.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	**أ، ب،ج،د،ه**
مقدمة	
مدخل: المرجعيات الفكرية والفلسفية لجبران خليل جبران............	**07-26**
الفصل الأول: مفاهيم نظرية حول التراث	
1_ تعريف التراث (المفهوم والمصطلح)	
1-1- المدلول اللغوي..	**28**
1-2- المفهوم الاصطلاحي......................................	**31**
1-3- مفهوم التراث في الفكر العربي المعاصر..................	**34**
1-4- مفهوم التراث في اللغات الأجنبية (الفرنسية/ الإنجليزية)......	**38**
2- أنواع التراث ومصادره	
2-1- التراث الديني..	**40**
2-2- التراث الصوفي...	**46**
2-3- التراث التاريخي...	**54**
2-4- التراث الأدبي...	**55**
2-5- التراث الشعبي..	**57**
2-6- التراث الأسطوري...	**60**
3- بواعث ودوافع توظيف التراث	
3-1- العامل الفني..	**65**
3-2- العامل الثقافي..	**66**
3-3- العامل السياسي والاجتماعي...............................	**67**
3-4- العامل القومي..	**68**
3-5- العامل النفسي..	**68**

4- الموقف من التراث.. 69
5- التراث والتجديد والمعاصرة... 73
6- أهمية التراث... 75
الفصل الثاني: أنواع التراث الموظف في كتاب "النبي" لجبران خليل جبران
1_ التراث الديني 85
أ- الدين المسيحي (الانجيل) 86
ب- الدين الإسلامي (القرآن الكريم)................................ 92
ج- الديانة الزرادشتية... 95
2- التراث الصوفي.. 102
3- التراث الأدبي... 111
الخاتمة....................... 120
الملحق.. 123
قائمة المصادر والمراجع.
فهرس الموضوعات.
ملخص الدراسة

ملخص:

يقدم هذا البحث دراسة حول توظيف التراث في أدب جبران من خلال كتابه النبي دراسة تحليلية وصفية، تحاول ضبط أبرز أنواع التراث الذي وظفه جبران في مدونته هذه، حيث كشفت لنا الدراسة بأن جبران وظف التراث بقالبه وأسلوبه الخاص كما يراه هو مناسب لا كما يراه غيره، مستلهما من التراث ما يخدم فكره ورؤاه، واضعا نفسه موضع النبي الرسول والحكيم الآمر الناهي صاحب القرارات والأحكام الصائبة والنهائية والحقيقة المطلقة التي لم يسبقه إليها أحد غيره.

Résumé :

cet article présente une étude sur l'emploi du patrimoine dans la littérature Gibran le prophète par étude descriptive et d'analyse d'écriture, essayez d'ajuster les principaux types de patrimoine, qui l'engage ceci sur son blog, Gibran, où nous étudions a révélé que Jubran a été embauché par son patrimoine et son propre style qu'elle juge appropriées, aussi voit autre, inspirée par l'idée du patrimoine et des visions, prenant la même position de prophète messager, le Sagesse des bonnes décisions et les jugements et de vérité définitive et absolue qui n'était pas précédée d'une autre.

